ابراهيم النعمة





الطبعة الاولى

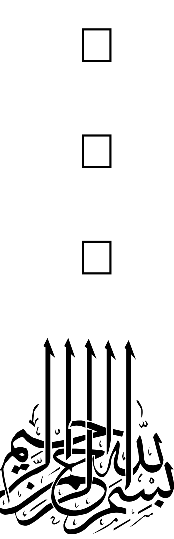
١٤٢٩-٢٠٠٨

الاهداء

الى كل مسلم لا يزال يحسن الظن بامريكا

ودول الغرب اهدي هذا البحث

المتواضع حتى لا نخدع.



من نور كتاب الله

قال الله تعالى:

(وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) سورة البقرة /٢١٧.

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) سورة البقرة /١٢٠.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، بَلْ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) سورة آل عمران /١٤٩-١٥٠.

مقدمة

الحمد لله حمدا يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين!.

أما بعد:

فيستطيع القارئ للتاريخ الإسلامي وتاريخ الغرب أن يجد صفحتين مختلفتين: إحداهما بيضاء ناصعة، والأخرى سوداء قاتمة. ومن الضروري للشباب المسلم أن يطّلع على كلتا الصفحتين؛ ليعرف شيئا من تاريخ أمته، بقراءة ما كان عليه الأسلاف من السماحة مع غير المسلمين، وتاريخ غيرنا على حقيقته، من خلال مواقفهم من المسلمين على مرّ العصور وإلى وقتنا الحاضر؛ كي يفخر المسلم ويعتز بتاريخه المجيد، ويفعل مثلما فعل السلف، ويقارن ذلك بمواقف غيرنا منا؛ كيلا نُخدع بالكلمات المنمقة التي تسطّر في دوائر الاستشراق والتبشير، ونغفل عمّا يراد بنا وبتاريخنا وبديننا وقد قال الشاعر:

من لم يع التاريخ في صدره

لم يدر حلو العيش من مرّه

ومن وعى أخبار من قد مضى

أضاف أعمارا إلى عمره

وإذا كانت كل دولة من الدول تدافع عن حصون بلدها وقلاعه، وتحميها من الاعتداء عليها بكل ما تملكه من دم ومال، فإنّ من الضروري أن نحمي نحن تاريخنا وثقافتنا ومقوماتنا من عبث العابثين، ومن أي غزو كان، والمحافظة على ذلك قد يقدّم على المحافظة على الأرض.

ومما دعاني إلى كتابة هذا المقال شيئان:

الأوّل: الشبهات التي يحملها كثير من أبنائنا الذين يدرسون في دول الغرب عن الإسلام، وبخاصّة أولئك الذين لم يطّلعوا على تشريعات الإسلام ولا على تاريخه.

الثاني: إنّ أعدادا ليست بالقليلة من شباب المسلمين المتدين، يتهاون في قبول عدد من المسائل المتعلقة بالتاريخ

الإسلامي؛ متأثرا بكثرة ما يسمعه من المستشرقين وما يقرؤه عنهم.

ولا نريد في هذا المقال أن نسيء إلى غيرنا، ولا أن نقف موقف العداء من العالم الغربي، وكل ما ذكرناه هنا أقل من القليل مما ذكره المؤرخون الثقات، مسلمين وغير مسلمين؛ ليعرف المسلم تاريخه، ويتمسّك بأصالته الأصيلة، ويعرف مكان أمته في الأمم.

والله أسأل أن يجعل أقوالنا وأفعالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يسدد خطانا، ويهدينا صراطه المستقيم، ويبصرنا بما ينفعنا في الدنيا والآخرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!.

صور من السماحة في الإسلام

كل من يقرأ ديننا وتاريخنا بإنعام نظر، من غير تعصب، يجد أن المسلمين كانوا متسامحين كل التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى، فلم يضق ديننا صدرا بالأديان المخالفة له، ولم يتعصّب ضدّ الناس من ذوي المذاهب المتعددة. وقد نصّ القرآن الكريم على علاقة المسلم بغير المسلم في قوله تعالى:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يُحبّ المقسطين ۞ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[١].

وهاتان الآيتان نزلتا في قُتيلة ابنة عبد العُزّى والدة أسماء بنت أبي بكر الصديق، فقد جاءت بهدايا إلى ابنتها أسماء وكانت قتيلة مشركة، فأبت أن تقبل هديتها وتدخلها

(١)- سورة الممتحنة/٨- ٩.

بيتهـا، فسـألت عائشـة النبـيﷺ، فـأنزل الله ﷻ هـاتين الآيتين﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين...﴾ فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها(٢).

وواضح في سبب نزول هاتين الآيتين أنهما نزلتا في شأن المشركين من عبدة الأصنام والأوثان، ونجد القرآن الحكيم قد شرع البر بالمسالمين منهم والعدل فيهم، وذلك بأن يُعطوا حقوقهم كاملة، بل يُعطوا فوق حقوقهم كأن يتنازل المسلمون لهم عن بعض حقوقهم اختيارا منهم وكرما، وهذا يُفهم من قوله تعالى ﴿..أن تبرّوهم﴾.

وإذا كانت هذه المعاملة شرعها الله في شأن الوثنيين من عبدة الأصنام والأوثان، فإنّ أهل الكتاب أكّد القرآن وأكّدت السنّة على حسن معاملتهم أكثر؛ لأنّ معتقداتهم أقرب إلى معتقدات المسلمين من غيرهم، وقد سماهم القرآن (أهل الكتاب) تكريما لهم وتفضيلا على غيرهم، ولم يذكر القرآن رسولهم وكتابهم المنزّل إلا بكل تقدير وإجلال، وقد نصّ

---

(٢)- رواه الإمام أحمد ٤/٤، والحاكم وصححه ٥٢٧/٢- ٥٢٨، وابن جرير ٦٦/٢٨.

القرآن الكريم على عدم التفرقة بين رسل الله، فلا يكون المسلم مسلما إلا إذا آمن بموسى وعيسى وسائر أنبياء الله ورسله قال الله تعالى:

﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[٣].

ولم يكتف القرآن بهذا، بل ميّزهم بمعاملة خاصة، فأجاز التزوج من نسائهم، وأكل ذبائحهم، وأعطاهم الإسلام حرية الاعتقاد، وإقامة شعائرهم، وإعلان طقوسهم في بيعهم وكنائسهم وأحيائهم ومحلاتهم...كما نصّ القرآن الحكيم على أن النصارى أقرب مودة للمسلمين من غيرهم، فقال تعالى:

﴿لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا

---

(٣)- سورة البقرة/٢٨٥.

نصـــارى ذلـــك بـــأنّ مـــنهم قسيســـين ورهبانـــا وأنهـــم لا يستكبرون..﴾[٤].

أما رسول الله ﷺ فقد قال:

(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة)[٥].

ومن مبادئ ديننا أننا لا نكره أي إنسان كان على الانضواء تحت لواء الإسلام، لأنّ العقيدة لا يجوز الإكراه فيها. فمن أراد أن يدخل في الإسلام فليدخل إذا كان مقتنعا به وراضيا في الدخول فيه، قال تعالى:

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[٦].

ومن مبادئ ديننا: أنّا إذا وقع جدال بيننا وبين أصحاب الديانات الأخرى، فنجادلهم بأحسن أدب الجدال، مقيمين الحجة والبرهان على ما نقوله، فإذا كان هناك طريقان حسن وأحسن فإنّا نجادلهم بالتي هي أحسن، قال الله تعالى:

---

(٤)- سورة المائدة/٨٢.

(٥)- متفق عليه رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث٣٤٤٣، ومسلم في الفضائل حديث ٢٣٦٥.

(٦)- سورة البقرة/٢٥٦.

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾[٧].

ونهى القرآن عن مسبة الذين يدعون من دون الله فقال تعالى:

﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾[٨].

ولقد طبّق النبيﷺ مبادئ التسامح مع غير المسلمين، فكان يتعاهد جيرانه -من غير المسلمين- ببره وإحسانه، ويقدم لهم الهدايا ويقبل منهم هداياهم. ولما جاءه وفد نصارى الحبشة أكرمهم النبي ﷺ وأنزلهم في مسجده وقام هو صلوات الله وسلامه عليه على خدمتهم، وكان مما قاله:

إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين؛ فأحبّ أن أكرمهم بنفسي[٩].

ولما جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ قام النبي الكريم بإنزالهم في مسجده -أيضا- وسمح لهم أن يقيموا صلاتهم

(٧)- سورة العنكبوت/٤٦.

(٨)- سورة الأنعام/١٠٨.

(٩)- من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٧٨. الطبعة الثانية ١٣٨٨- ١٩٦٨، دار الإرشاد، بيروت.

فيه، فكان رسول الله ﷺ والمسلمون معه يصلون في جانب من جوانب المسجد، وكانوا هم يصلون في الجانب الآخر[(١٠)].

وعلى هدي النبي الكريم ﷺ سار خلفاؤه الراشدون ومن جاء بعدهم. فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاء ليتسلّم مفاتيح بيت المقدس، وحانت صلاة العصر -وهو بجوار كنيسة القدس الكبرى- أبى أن يصلي فيها، خشية أن يأخذها منهم المسلمون -فيما بعد- ويتخذوها مسجدا ويقولون: ههنا صلى أمير المؤمنين.

ويحدثنا التاريخ أنه (لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم- وإن كانوا على ديننا-

---

(١٠)- المصدر نفسه ص٧٨.

أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا)[١١].

ولقد أعطي أهل الكتاب وظائف عالية في دولة الإسلام: فقد أسند معاوية بن أبي سفيانﷺ وظيفة الإدارة المالية في الدولة لأسرة مسيحية، وظلّ أبناء الأسرة يتوارثون تلك الوظائف فترة طويلة من الزمن. وأسند -أيضا- جباية خراج حمص-وهي وظيفة مالية- إلى طبيبه(ابن آثال)[١٢]. واتخذ عبد الملك بن مروان (أثناسيوس) – وهو عالم مسيحي من مدينة الرها- مؤدبا لأخيه عبد العزيز[١٣]، وكان الخليفة العباسي المعتصم بالله قد اتخذ أخوين مسيحيين بوظائف الدولة: أحدهما يُدعى (سلمويه)، وكانت وظيفته

---

(١١)- الدعوة إلى الإسلام تأليف: سير توماس. و. أرنولد ص٧٣، ترجمه إلى العربية وعلّق عليه حسن إبراهيم حسن ود. عبد المجيد عابدين الطبعة الثالثة. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

(١٢)- تاريخ العرب تأليف: فيليب حتّي ٢٥٩/٢. الطبعة الثانية. ١٩٥٣.

(١٣)- الدعوة إلى الإسلام ص٨١.

كوظيفة الوزير في العصر الحديث، ولا تنفذ الوثائق إلا بعد توقيعه عليها، كما عهد إلى أخيه (إبراهيم) بحفظ خاتم الخليفة وخزانة بيوت الأموال[١٤].

ولا يتمثل العدل الذي طبّقه المسلمون في معاملاتهم لأهل الكتاب، بل تعداها إلى إنصاف المظلومين من الظلم الذي وقع بين أهل الكتاب بعضهم مع البعض الآخر: فقد كانت مصر محتلة من الرومان الذين أرهقوا المصريين بمصّ دمائهم بكثرة الخراج الذي فرضوه عليهم، فلما فتحت (مصر) بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، تنفّس النّاس الصعداء، وعاش المسيحيون في ظلّ الإسلام في أمن وأمان. وقبل أن تفتح هذه البلاد كان المقوقس يضطهد القبط المسيحيين؛ لأنهم كانوا على مذهب(اليعقوبية) الذي يصطدم مع مذهب الدولة الرومانية. وحسبنا أن نذكر هنا أنّ (بنيامين) كان على رأس كنيسة الإسكندرية، وقد أصابه ما أصابه من الاضطهاد، حتى اضطرّ إلى الاختفاء في أحد الأديرة، فلما فتحت مصر دعاه (عمرو بن العاص) إلى العودة إلى

(١٤)- الدعوة إلى الإسلام ص٨٢.

كنيسته ليمارس شعائر دينه بكل حرّية، وعاد البطريرك ليرعى كنائسه بعد ثلاثة عشر عاما قضاها مختفيا .! لقد عاد مكرّما في ظلّ دولة الإسلام التي أعطت الحرّية الدينية لأتباع الأديان الأخرى(١٥).

التعددية الدينية والمذهبية بين الفكر الإسلامي والغربي

اتضح لنا مما سبق أنّ التعددية في الفكر الإسلامي كانت سمة واضحة من السمات التي اتسم بها المسلمون في العصور الإسلامية، لكننا لا نجد شيئا من تلك التعددية في دول الغرب، سواء كانت التعددية الدينية أم التعددية المذهبية في ظلّ الدين المسيحي، وإن ينس الناس شيئا فلن ينسوا الحروب المذهبية التي استعرت في الغرب، وكيف كانت الاحتفالات تُقام هنا وهناك؛ شكرا لله على الانتصار على المذهب الديني الآخر.

أمّا عن موقف الغربيين من الإسلام، فقد اشتد الصراع معهم في أوائل القرن الخامس الهجري، وبلغ قمته في

(١٥)- الإسلام دين السلام للدكتور عبد الصبور شاهين ص١٥-١٦، الطبعة الأولى ١٤٢٥- ٢٠٠٤، دار السلام، القاهرة.

القرنين السادس والسابع، وانتهى ذلك الصراع بمأساتين للمسلمين: الأولى مأساتهم في الأندلس، والثانية مأساتهم فيما أصابهم في الحروب الصليبية. وحسبنا أن نعلم أنّ (فرديناند وإيزابلا) أصدرا أمرا جاء فيه:

(إنّه لما كان الله قد اختارنا لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة، فإنه يحظر وجود المسلمين فيها، فإذا كان بها بعضهم، فإنّه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم؛ خوفا من أن يتأخّر تنصيرهم، أو بأولئك الذين نُصّروا لئلا يفسد إيمانهم، ويعاقب المخالفون بالموت، وبمصادرة الأموال)[١٦].

أمّا بابا روما، فقد أصدر سنة ١٥٢٤ مرسوما يطلب فيه الإسراع بتنصير المسلمين، وأن يطردوا من يأبى منهم التنصير من اسبانيا، وأن يعاقب من يأبى ذلك بالرق مدى الحياة، ثم صدر المرسوم الآخر الذي طلب فيه البابا أن تؤخذ مساجد المسلمين منهم وتقلب إلى كنائس. وتوالت

(١٦)–العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين للدكتور بدران أبو العينين بدران ص٣٢٨، دار النهضة العربية ١٤٠٤– ١٩٨٤، بيروت.

المراسيم الواحدة بعد الأخرى التي تضطهد المسلمين لتخرجهم من دينهم، فصدر الأمر الملكي بأن يضع المسلمون شارة زرقاء على قبعاتهم، وأن يسجدوا إذا رأوا كبير الأحبار، وألاّ يقيموا شعائرهم الدينية(١٧).

ولم يكتفوا بهذا، بل قاموا بحرق المسلمين في المدينة أمام الناس، أولئك الذين ظلوا مستقيمين على دينهم، وأخذوا أطفالهم، وجعلوهم في المدارس النصرانية؛ لينشئوهم على ذلك.

وبهذه الأساليب انتهى أمر الإسلام في الأندلس، ولم يبق فيه من يوحد الله، وقاموا -أيضا- باستئصال أكثر الآثار الإسلامية منها.

---

(١٧)- المصدر نفسه ص٣٢٩.

وشهد شاهد من أهلها

وقد شهد بمعاملة المسلمين لغيرهم بالتسامح غير المسلمين فقال (ول ديورانت):

(إنّ أهل الذمة من المسيحيين والزردشتيين واليهود والصابئين كانوا يستمتعون في عهد الخلافة بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام..كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم الدينية، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم..وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية، والذين كانوا يلقون صورا من الاضطهاد على يد بطارقة القسطنطينية وأورشليم والإسكندرية وأنطاكية أحرارا آمنين تحت حكم المسلمين، بل إنّ والي أنطاكية (المسلم) عيّن حرسا خاصا؛ ليمنع الطوائف المسيحية من أن يقتل بعضها بعضا)[(١٨)].

وقال المستشرق الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون):

---

(١٨)- شبابنا وقضايا دينهم للدكتور عبد المنعم النمر ص١١٤-١١٥، مؤسسة مختار، القاهرة، نقلا عن كتاب قصة الحضارة تأليف ول ديورانت ٢/١٣٠.

(إنّ الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينا سمحا مثل دينهم)[19].

وبعث البطريرك النسطوري (ابشويان الثالث) إلى (سيمون) أسقف (أردشير) الرسالة الآتية:

(العرب الذين أعطاهم الله ملك العالم برمته هم بينكم كما تعلمون، لم يهاجموا العقيدة المسيحية، بل إنهم يعطفون على ديننا، ويكرمون قديسنا، ويساعدون في بناء الكنائس والأديرة)[20].

إنّ سماحة المسلمين مع أهل الكتاب خاصة، وإكرامهم، وإعطاءهم مناصب مهمة في دولة الإسلام أضحت من الحقائق المسلّم بها. ويحقّ لكل أحد أن يسأل بعد ذلك: في أي عهد من العهود استوزر الكاثوليك بروتستانتيا؟.

---

(١٩)- من روائع حضارتنا ص٨٨.

(٢٠)- باقات الورود النضرة من حكايات المسلمين العطرة لكاتب المقال ص٢٧٦. الطبعة الثالثة ١٤٢٣- ٢٠٠٣، دار النفائس، عمان، الأردن.

الحروب الصليبية: هي سلسلة من الحروب، شنها المسيحيون الأوربيون لاستعادة الاراضي المقدسة – وبخاصة القدس– من المسلمين[٢١]، او للمحافظة على الإمارات الصليبية التي تكونت في البلاد الشامية، وهي تمثل الصراع بين الشرق والغرب، واستمرت مدةَ قرنين من الزمن[٢٢]. وتعددت وجهات النظر في أسباب قيامها، لكن الذي تطمئن اليه النفس أنّ من أسبابها: ذلك الانتشار الواسع للإسلام، وفتحه لكثير من المناطق في آسيا وإفريقيا وأوربا، وقد كانت تلك المناطق من قبل تحت النفوذ المسيحي. وقد أثار هذا حفيظة الغربيين، فتأجج الحقد في قلوبهم، وتأصلت نار العداوة في نفوسهم، وغلا الدم في

---

(٢١)– ينظر: الموسوعة العربية الميسرة باشراف: محمد شفيق غربال ص٧٠٩. مطبعة الشعب، القاهرة .

(٢٢)– الحروب الصليبية في المشرق والمغرب تأليف: محمد العروسي المطوي ص١٩، الطبعة الاولى ١٣٧٤–١٩٥٤، الشركة التونسية، تونس.

عروقهم، فصاروا يتحينون اهتبال الفرصة المناسبة، ليستردوا مجدهم الضائع اولاً، وليشفوا حقدهم من المسلمين بعد ذلك.

من هنا كانت البداية

كان من أوائل من دعا إلى الحروب الصليبية البابا (سلفستر الثاني) سنة١٠٠٢م. ومع الجهود الجهيدة التي بذلها لم يجد آذانا صاغية له، وذهبت جهوده ادراج الرياح.

وجاء من بعده (جرجريوس السابع) سنة ١٠٧٥م حاملا الدعوة نفسها: فقد نظر إلى العالم المسيحي من حوله، فرأى الفرقة قد دبّت بينهم، فأراد أن يجمع كلمتّهم، ويوحد جهودهم ضد المسلمين في الأندلس، وقد نجحت دعوته في ذلك : فجيشت الجيوش الأوربية ضد مسلمي الأندلس! لكن الله عز وجل هيأ لهم أميرا عظيما وقائدا شجاعا هو: (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين في المغرب ، استطاع ان ينتصر عليهم في معركة (الزلاقة)، ويردهم على أعقابهم خائبين، وذلك سنة ٤٧٩هـ .

أما البابا (اوريال الثاني)، فقد دعا إلى حرب صليبية عامة ضد المسلمين، وذلك في سنة ٤٨٩-١٠٩٥، داعياً

الأمراء إلى نبذ خلافاتهم لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين: (وأعلن انه سيغفر ذنوب كل من يشترك في هذه الحرب وخطاياهم، ودعا كل من يذهب في الحرب أن يحمل شارة الصليب على صدره...)[٢٣].

---

(٢٣)- حاضر العالم الإسلامي- الآلام والآمال للدكتور : توفيق يوسف الواعي ص٤٢، الطبعة الاولى ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار عمار، الأردن- عمان.

معركة ملاذ كرد[٢٤]

يذكر المؤرخون معركة تسمى (ملاذ كرد) وقعت بين الجيش الإسلامي بقيادة السلطان السلجوقي (الب ارسلان) من جهة، وبين الجيش الروماني بقيادة (رومانوس) من جهة أخرى، وذلك سنة ٤٦٣هـ، وكان الجيش الروماني يقدر بمائتي الف او يزيدون. وأبلى المسلمون بلاءاً حسنا في المعركة، تمثل فيه الجهاد الإسلامي في صورة من أروع صوره في الاستبسال والشجاعة، وانجلت المعركة عن

---

(٢٤)- ملاذ كرد: معركة وقعت بين الجيش الإسلامي وتعداده خمسة عشر الف مجاهد -كما ذكر ابن الأثير- والجيش الروماني وتعداده مائتا الف مقاتل، وانتصر المسلمون فيها على الروم. وقبيل أن تنشب المعركة صلى(الب ارسلان) بالمسلمين يوم الجمعة، فبكى وبكى الناس لبكائه، ودعوا الله أن ينصرهم. ولبس(الب ارسلان) البياض، وتحنط، وقال لهم: إن قتلت فهذا كفني، وكتب الله النصر للمسلمين؛ فانهزم الروم على الرغم من كثرتهم وكثرة سلاحهم، وقتل منهم من لا يحصى، وأسر ملك الروم، وأطلق سراحه بفداء، وأطلق سراح جماعة من البطارقة معه، على ان يطلق كل أسير في بلاد الروم.

اندحار الجيش الروماني، وأسر أعداد كثيرة منهم . ولكن ما ان انتهت المعركة، حتى أعد الغرب عدته للقيام بالحرب الصليبية، وقد باشر بعد ثلاثين سنة؛ فابتدأت سنة ٤٩٤هـ، ولم تتوقف الا في سنة ٦٩٠هـ، بعد أن حرر (السلطان الاشرف) مدينة (عكا) ممن بقي من الصليبيين.

دور بطرس الناسك في الحروب الصليبية

كان لبطرس الناسك دور مهم في تجييش الجيوش في الحملات الصليبية، حيث ذهب الى بيت المقدس، وغاظه ما رأى من السيادة الاسلامية على الاماكن المقدسة، وأذهله -في الوقت نفسه- ما رآه من ضعف المسلمين، وتشتت شملهم، وتفّرق كلمتهم، وكثرة النزاعات بين أمرائهم، فعاد إلى موطنه (فرنسا) اولاً، ثم الى عدد من دول الغرب - ومنها روما- واجتمع بالبابا، واتفق معه على ان يكون داعية للحروب الصليبية، بعد أن بيَّن أن الفرصة قد حانت للإنقضاض على المسلمين ، الذين يعانون من الوهن و الضعف؛ لاستخلاص بيت المقدس وكنيسة القيامة من ايديهم، وأشاعوا في العالم الغربي لدى الشعوب المسيحية:

أن بيت المقدس في خطر؛ فلا بد من العمل لاستخلاصه من أيدي المسلمين...!.

وهكذا حشدت أوربا الحشود، وجمعت الجموع منطلقة نحو بيت المقدس. واستمرت هذه الحروب التي عرفت باسم الحروب الصليبية قرنين من الزمن: تذهب حملة وتجئ اخرى بقيادة ملك من ملوك أوربا، على الرغم من الخسائر التي منيت بها هذه الحملات. وانكشفت الحقيقة للناس بعد ذلك وتبين لهم أن القدس لم تكن في خطر، وذلك حين عادت بقايا من الحملات الصليبية، وأعلنوا ذلك أمام الناس، فما كان من الكنيسة الا أن قامت بقتلهم؛ خشية أن ينتشر الخبر بين الناس أكثر. ولما لم تحقق هذه الحملات ما تصبو اليه، فقد أعدت العدة لإخراج المسلمين من الفردوس المفقود (الأندلس)، وقد نجحت في ذلك بما اتبعته من قتل وتنكيل وإرهاب بالمسلمين؛ حتى أخرجوهم منها. وسل محاكم التفتيش تنبئك عما اجترحته من جرائم لم يشهد التاريخ لها مثيلا، فقد صارت مضرب الأمثال في الوحشية

من أجل استئصال الإسلام من البلاد، والكتاب الأوربيون هم الذين اعترفوا بذلك!.

موقفان متباينان بعد النصر

ونحب هنا أن نقف وقفة قصيرة أمام ما فعله الصليبيون حين استولوا على بيت المقدس، وما فعله المسلمون حين قاموا بتحريرها منهم.

أما الصليبيون ، فقد استعملوا كل أسلوب من أساليب الهمجية والتدمير والسلب والنهب، وكانوا يتسلون بقتل الأطفال وتقطيع أوصالهم وشيّهم على النار. يقول الدكتور غوستاف لوبون:

(... واقترف هؤلاء (الصليبيون) من الجرائم نحو المسلمين والنصارى ما لا يصدر عن غير المجانين، من الاعمال الوحشية، وكان من أحب ضروب اللهوِ اليهم: قتل

من يلاقون من الاطفال، وتقطيعهم إرباً إرباً وشيهم كما روت آن كومنين)[٢٥].

ويقول:

(ويدل سلوك الصليبيين في جميع المعارك على انهم من اشد الوحوش حماقة: فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء، والاهلين العزل والمحاربين، والنساء والشيوخ والاطفال، وقد كانوا يقتلون وينهبون على غير هدى)[٢٦].

ولولا خشية الاطالة لذكرت الكثير مما ذكره (لوبون)، مما تشيب لهوله الولدان.

ويقول غليوم الصوري:

(إن الصليبيين كانوا من السفهاء الفاسدين، والملاحدة الفاسقين، ولو أراد كاتب أن يصف رذائلهم الوحشية، لخرج من طور المؤرخ ليدخل في طور القادح الهاجي)[٢٧].

---

(٢٥)-حضارة العرب- تأليف غوستاف لوبون ص٣٢٤، نقله الى العربية: عادل زعيتر، مطبعة: عيسى البابي الحلبي، القاهرة

(٢٦)- حضارة العرب ص٣٢٥.

(٢٧)- المجتمع الاسلامي للدكتور: أحمد شلبي ص ٢٧٧، الطبعة الثالثة ١٩٦٧، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

وأما المسلمون، فقد كان موقفهم على العكس تماما. فهذا صلاح الدين الأيوبي بعد أن حرر القدس الشريف بذل للصليبيين الأمان لأنفسهم وأموالهم، وسمح لمن يريد الخروج أن يخرج لقاء مبلغ زهيد يدفعه الاغنياء منهم، وأطلق سراح الفقراء من غير فدية، وعامل النساء أفضل معاملة، وسمح للبطريرك الافرنجي أن يخرج ومعه أموال البيع، والصخرة، والأقصى، والقيامة...[٢٨].

الصليبيون يستعينون بالمغول وتسقط بغداد

لقد تعبت الزحوف الصليبية في قتالها ضد المسلمين، وأصابها الضعف، وانهارت نفسية كثير منهم، ولم تحقق حملاتهم ما كانت تصبو إليه من استئصال الإسلام، والسيطرة على كثير من اجزاء العالم الإسلامي، وقد توقف قسم من ملوك اوربا عن مدهم بالقوة، وهم يرون قواتهم تتهاوى أمام المسلمين. ونظر أمراؤهم، فرأوا المغول يزحفون

---

(٢٨)- لزيادة الاطلاع ينظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص ١٠٠-١٠١ فصل: أخلاقنا الحربية، الطبعة الثانية ١٣٨٨-١٩٦٨، دار الارشاد، بيروت.

على العالم الإسلامي، متخذين الهمجية والتدمير منهجا لهم؛ فرأوا أن يعقدوا معاهدة معهم للتعاون فيما بينهم لغزو العالم الإسلامي. وهكذا كان. فما ان بدأ المغول باجتياح قسم من البلاد الإسلامية، حتى قام الصليبيون بحملتهم على مصر، ونجحوا في احتلال (دمياط). ولولا الغزو المغولي لبغداد لما تمكنوا من ذلك.

وبعد ذلك الحلف غير المقدس، انطلقت قوات المغول نحو بغداد، ونجحت في احتلالها، وقد سهل لهم الاحتلال (ابن العلقمي) وزير المستعصم بالله، ذلك الذي خان الله ورسوله ومن بوأه منصب الوزارة: فكاتب التتر، وأطمعهم في احتلال بغداد . وهكذا سقطت بغداد بأيديهم، وغرقت بالدماء، وقتل العلماء والزهاد، وهتكت الأعراض، وتعطلت الصلاة في المساجد، واحرقت الكتب، وخربت البلاد، وقدَّر المؤرخون أن من قتل من المسلمين يربو على المليون. واستمرت الجرائم مدة اربعين يوما هكذا، وخلت الطرقات الا من جثث القتلى...! وكان هذا ثمرة من ثمرات تحالف بين الصليبيين والمغول، وقتل آخر الخلفاء العباسيين

(المستعصم بالله). ولم يقف الزحف المغولي عند حدود بغداد، بل واصل مسيرته ليجتاح الشام ومصر، ولكن الله هيأ رجالاً قادوا المعركة الفاصلة في (عين جالوت) التي اندحر فيها الغزو المغولي ايّ اندحار!. وقد وصف السيوطي فاجعة بغداد بقوله:

(حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الاخبار، وتاريخ ينسي التواريخ، ونازلة تصغّر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض، وتملأها ما بين الطول والعرض).[٢٩].

حقا لقد كان للصليبيين الدور الكبير في هذه الفاجعة، وهذا ما اعترف به مؤرخوهم ودهاقنتهم، فقال(الاسقف دي سيسل).

(لقد كانت الحملة على الإسلام والعرب، حملة صليبية بالمعنى الكامل لها، وقد هلل لها الغرب، وارتقب الخلاص على يد (هولاكو) وقائده المسيحي (كتبغا)، الذي تعلّق أمل

---

(٢٩)- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٧٣، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

الغرب عليه؛ لتحقيق القضاء على المسلمين، وهو الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية، ولم يعد للغرب أمل في بلوغه الا على يد التتار خصوم المسلمين)[٣٠].

خدعة اليهود للصليبيين

ولابد لنا ان نشير هنا الى أن الصليبيين ربما خدعوا بأحابيل اليهود ومكرهم وتحريضهم لهم على شن تلك الحملات الصليبية؛ فخسر الصليبيون خسارة عظمى، وهذا ما اعترف به الكتاب المسيحيون أنفسهم، فقال (الاميرال كي):

(إن الحروب الصليبية لم تكن حروبا مسيحية، إنما كانت تدبيرا يهودياً؛ لوضع العالمين: المسيحي والإسلامي في حرب عامة مدمرة، دامت أكثر من عصرين؛ تمهيدا للوصول الى فلسطين)[٣١].

---

(٣٠)- الضربات التي وجهت للإنقضاض على الامة الاسلامية تأليف أنور الجندي ص٩٨ الطبعة الاولى ١٤١٨-١٩٩٨، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

(٣١)- الضربات التي وجهت للإنقضاض على الامة الاسلامية ص٤٦.

واقعنا المعاصر

إن حديثنا في الحروب الصليبية واحتلال بغداد، ليذكرنا بواقعنا المؤلم الذي نعايشة في العراق في القرن الواحد والعشرين. فقد دار الزمن دورته، وأصيب المسلمون بالداء الذي أصيبوا به من قبل، فتركهم يتقلبون على جمر الغضى: داء التفرق والتشتت والتمزق، فتكالبت الدول على احتلال العراق بقيادة أمريكا، وقامت بتخريب المصانع فيه، وقتل الناس الآمنين، وإشاعة الرعب والفوضى، وتشجيع العنصرية والطائفية فيه من وراء ستار، والعمل على تقسيم العراق! أجل العمل على تقسيمه على الرغم من اعلامها المضلل الذي ينفي ذلك..! كل هذا في ظل القوة الاحادية في العالم في النظام الدولي الجديد، المتمثلة بالسياسة الأمريكية وتطلعاتها الى الهيمنة على العالم؛ حتى صارت العلاقة بين الشرق والغرب تقوم على الصراع والمجابهة وخوض المعارك التي لا نهاية لها، ولا تقوم على التعاون وتبادل المصالح والمهادنة؛ ذلك لان أمريكا تعتمد اعتمادا ليس بالقليل على نفط العرب، وعلى الكنوز الكبيرة المتوافرة

فيها ولو ضحت بمن ضحت من أبنائها؛ لان الهيمنة على مصادر القوة في الشرق الإسلامي هو الأصل الأصيل أولا، ولان الخطر الإسلامي هو الذي تراه مهدداً لها، ولأنها ترى مستقبلها القريب والبعيد يقتضي ذلك.

وبعد

فيحق لكل أحد أن يسأل –وهو ينظر الى الحرب الظالمة الغاشمة التي شنها الغرب بقيادة أمريكا على العراق: هل صرنا نعايش اليوم في القرن الحادي والعشرين الحروب الصليبية التاسعة في ظل النظام الدولي الجديد، وبقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ولكن بثوب جديد؟

اذا كان قسم من الساسة الغربيين يدفعون عن انفسهم هذه التهمة، ويدَّعون أنهم أبعد ما يكونون عن ذلك، فان ساسة آخرين وقادة لهم مكانتهم في دولهم، لم يستطيعوا أن يتملكوا أنفسهم وهم يشنون الحرب على العراق سنة١٩٩١؛ فأعلنوا أنهم يخوضون الان الحرب الصليبية التاسعة. وقد جرى مثل هذا الكلام على لسان الرئيس الامريكي (بوش) بعد تفجيرات الحادي عشر من ايلول٢٠٠١م. ولا تسل عما جرى في احتلال العراق وما يجري.

أثر الحروب الصليبية في الفكر الغربي

كل من يتأمل بثقافات المجتمع الغربي، يرى ظاهرة العداء للإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه واضحة بينة، يبدو ذلك جليا في المناهج الدراسية التي يأخذها الأطفال والدارسون في المدارس، وهي مليئة بالطعن في الإسلام، وتشويه صورة النبيﷺ. وكان هذا بسبب ما توارثه القوم من عقابيل الحروب الصليبية، والدماء الكثيرة التي سفكت بسببها. فالطالب والدارس يقرأ المفتريات الكثيرة على الإسلام التي تدرس في المدارس والجامعات، ويقرؤها في الموسوعات ودوائر المعارف، وفي المحاضرات والندوات... يقول الدكتور مراد هوفمان:

(في مدارس ألمانيا يدرّس الإسلام مشوها في ٦٠٠ كتاب بطريقة مرعبة)[٣٢].

ويقول م. كويت:

---

(٣٢)- ربحت محمدا ولم أخسر المسيح تأليف د. عبد المعطي الدالاتي ص٨٤ الطبعة الثالثة ١٤٢٣- ٢٠٠٢، دار الشهاب، سوريا، دمشق.

(وقد شبّ أغلب الغربيين على كراهية الإسلام، بينما شبّ المسلمون على حب المسيح والإنجيل المنزّل عليه)[٣٣].

ولقد شنت أوربا ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامي، وكان المسلمون لها بالمرصاد؛ فأخفقت الواحدة بعد الأخرى، ومنيت بهزائم منكرة، وقد تبيّن لدهاقنة الرأي فيهم وقادتهم أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين، ولا تحقق لهم نصرا؛ إذ الاستشهاد في سبيل الله أمنية من أعزّ الأماني لدى المسلم، ففكر القديس (لويس التاسع) قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا، أن تقوم أوربا بتغيير منهجها في حرب المسلمين، فتعمد إلى تشويه فكر المسلمين، وتضع الشبهات والشكوك أمام عقيدة الإسلام وشريعته، بعد دراستهم للإسلام عن كثب. وبهذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر، فكثرت الطعون الموجهة من العالم الغربي للقرآن الكريم

---

(٣٣)- مقدمات العلوم والمناهج تأليف أنور الجندي ١٦٦/٨. وربحت محمدا ص٣١.

والسنة النبوية وشخصية النبيﷺ، وقد اعترف (ميجل كروت ايرناندث) وهو من كبار رجال لاهوت الأسبان بذلك فقال:

(ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرّض للتجريح والإهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمدﷺ، وكذا لا نكاد نجد اتهاما أساسه السياسة-لا الدين-مثل تلك الاتهامات التي وُجّهت للإسلام)[٣٤].

وقال الدكتور (ايبالسا) وهو باحث مسيحي:

(إنّ شخصية النبي محمدﷺ مقدمة إلى العالم المسيحي بصورة مشوهة إلى حد كبير، حولها نسجت العديد من الافتراءات والأكاذيب والخرافات التي نشأت كلها من الفكر المتعصّب الذي ساد الغرب منذ بدأ الإسلام يدخل أوربا.

---

(٣٤)- التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم إعداد سور حمن هدايات ص١٥١، الطبعة الأولى ١٤٢١- ٢٠٠١، دار السلام، القاهرة، نقلا عن مجلة العربي العدد ٢٢٣، الصادرة في حزيران ١٩٧٧ ص٤٦.

مثل هذه الافتراءات إحدى وسائل تعبئة الجماهير ضدّ المد الإسلامي)[٣٥].

وقال عالم الاجتماع الأمريكي (نيكولاس هوفمان):

(لا توجد ديانة أو قومية او ثقافة كثقافة العرب والمسلمين تتعرّض في الولايات المتحدة لمثل هذا التشويه الفظيع)[٣٦].

وقال (ليوبولد فايس) وقد أسلم وسمى نفسه محمد أسد:

(إنّ روح الحروب الصليبية ما تزال تتسكّع فوق أوربا، ولا تزال تقف من العالم الإسلامي موقفا يحمل آثارا واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال)[٣٧].

وقال (جون وبستر):

(يظهر أنّ الغرب المسيحي قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة)[٣٨].

---

(٣٥)- تقرير المؤتمر المسيحي الإسلامي الثالث بقرطبة سنة ١٩٧٧ يُنظر مجلة العربي ص٤٢العدد٢٢٣حزيران ١٩٧٧.

(٣٦)- ربحت محمدا ولم أخسر المسيح ص١٠٠.

(٣٧)- المصدر نفسه ص١٠٠.

ولقد عاد الهجوم العسكري على العالم الإسلامي مرّة أخرى حين دخل (نابليون بونابرت) مصر سنة ١٨٣٠، ثم احتلت عدن بعد ذلك، ثم تونس، ثم مصر، ثم ليبيا، ثم المغرب، وكانت الطامة الكبرى في اتفاقية (سايكس بيكو) التي قسمت فيها ما تبقى من عالمنا العربي، وكان ذلك سنة ١٩١٦، ثم كانت خاتمة الخطوب ونهاية الطامّات: سقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤، فقسمت الأمة الإسلامية في استعمارها بين انكلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وألمانيا وإيطاليا.

وهكذا يبدو جليا واضحا أن صراع الغرب مع العالم الإسلامي قد بدأ منذ ما يقرب من خمسة قرون.

ولقد ظلّ الاستعمار الغربي ببلاد المسلمين يفعل الأفاعيل بتشويه تاريخها وحضارتها ونهب خيراتها، لكن الشعوب المسلمة لم تقف أمامه مكتوفة الأيدي، بل قامت بمقاومته، وأبلت بلاءا حسنا قلّ نظيره في تلك المقاومة..!! فعلت الشعوب المسلمة ذلك بدافع من دينها الذي يأمر بمقاومة الغزاة المستعمرين المحتلين بكلّ ما تيسر لهم من

---

(٣٨)- المصدر نفسه ص٨٣.

أسباب القوة، حتى استطاعت بعد جهد جهيد من طرد المستعمرين، وكان آخر تلك الدول العربية: الجزائر، التي ظلّت تقاوم وتقارع الاستعمار الفرنسي قرنا وثلث القرن من الزمان، وكان ثمن تحررها مليونا أو أكثر من الشهداء، وعادت الجزائر بلدا عربيا إسلاميا، بعد أن أرادت فرنسا أن تسلخها من هويتها العربية الإسلامية[٣٩].

وظلّ العالم الغربي يرقب الأحداث عن كثب، ويستغلّ الفرصة المناسبة ليعاود سيطرته على الشرق الإسلامي.! ويمر الزمن، وتقع حوادث الحادي عشر من أيلول سنة ٢٠٠١ التي رسمتها السياسة الامريكية التي دلّت عليها وثائق وتقارير ليشنّ الغرب حربا على الإسلام وديار

---

(٣٩)- الصراع على الهوية من أخطر أنواع الصراع في العالم قديما وحديثا،؛ ذلك أنّ أية أمة كانت من الأمم قد تنهزم في معركة من المعارك، لكنها إذا ظلّت محتفظة بهويتها، فانها تستطيع أن تجمع شملها، وتوحد صفها لتحرير أرضها ومقاومة عدوها، أما إذا فقدت الأمة هويتها، فإنها تذوب في بوتقة المحتل، وتستسلم له، ولا تقوم لها قائمة بعد ذلك، والمعركة على الهوية بدأت طلائعها منذ سقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤، ولا تزال قائمة إلى يوم الناس هذا.

الإسلام باسم محاربة الإرهاب. ولم ينس الغرب عقابيل الحروب الصليبية، فقد أراد أن يعيدها جذعة على العالم الإسلامي، فصرخ (بوش) أنّ هذه الحرب حرب صليبية طويلة الأمد من غير حياء ولا خجل، ولما نبهه خبراؤه إلى خطورة هذا التصريح الذي سيترك أثرا سيئا في نفوس المسلمين الذين يزيد عددهم عن المليار والثلث، تراجع عن تصريحه، معتذرا بأنها كانت (زلة لسان)، وما هي بزلة لسان، ولكن التصريح يُعبّر عما يدور من مخططات رهيبة ضدّ العالم الإسلامي في البيت الأبيض، وقد قال سيدنا علي بن أبي طالبﷺ: غش القلوب يظهر على صفحات الوجوه وفلتات الألسن.

الإسلام والغرب وجها لوجه

كثرت الوثائق والتصريحات من قادة الغرب التي تنص نصا صريحا واضحا على ان الغربيين عملوا – وما زالوا يعملون كذلك- على تشويه صورة الاسلام، ومحاربة المسلمين هنا وهناك، وانهم يتعاملون ويتعاونون مع الوثنيين والبوذيين والهندوس وسائر الاديان والملل والنحل الا مع المسلمين اعدائهم التقليديين. ويتجلى شئ من ذلك بما فعله الانكليز لما احتلوا الهند ، فقد قربوا غير المسلمين من الهنود، وتعاونوا معهم، ورجحوا كفتهم على كفة المسلمين. وظل موقفهم ظاهر العداء من المسلمين وقضاياهم، وقد قال (اللورد النبرو):

(لا يسعني ان اغمض نظري على حقيقة لا شك فيها: وهي ان العنصر الاسلامي عدو اصيل العداوة لنا، وان

سياستنا الحقة ينبغي ان تتجه الى تقريب غير المسلمين من الهنود)[٤٠].

وليست تصريحات الانكليز وغيرهم من المستعمرين اقوالا يقولونها بافواههم ثم تذهب ادراج الرياح، بل كانت تجد التطبيق العملي، فقام الانكليز باضطهاد المسلمين، وقتلوا اعداداً كثيرة منهم، وحسبنا هنا ان نذكر ما قرره السيد (سجار حيدر) سفير باكستان في القاهرة، فقد قال:

(إن اضابير التاريخ تشهد بالاعمال الوحشية والقسوة التي تعرض لها المسلمون على ايدي البريطانيين؛ اذ كانوا يشنقون الناس بعد محاكمات سريعة، ويطلقون عليهم النار لاسباب تافهة، ويسلطون عليهم ضغوطاً سياسية واقتصادية مرهقة...)[٤١].

---

(٤٠) فصل المقال فيما بين العلمانية والماسونية من الاتصال. اعداد: سامي عطا حسن ص٥٠ الطبعة الاولى ١٤٠٨-١٩٨٨. الناشر دار السلفية، الكويت

(٤١)حصاد الغرور للشيخ محمد الغزالي ص٢٩٧-٢٩٨. الطبعة الاولى١٩٧٠، دار البيان الكويت.

ولم يقتصر عداء الانكليز للمسلمين في الهند وحدها، بل وجد في كل دولة تمكن المستعمرون من الهيمنة عليها، فقد وجد في جزر (اندونيسيا) و(الخليج العربي) و (سواحل زنجبار)، ورأيناه في روسيا بما فعلته في (القفقاس) و (اذربيجان) و (اسيا الصغرى)، ووجدناه بما فعلته فرنسا في (افريقيا الشمالية) و (افريقيا الغربية)، ورأيناه بما فعلته ايطاليا في غزوها لطرابلس والمغرب... إنه العداء الذي توارثه القوم جيل عن جيل، وان ينس الناس شيئا فلن ينسوا نشيد الجندي الايطالي الذي كان يرتدي ملابس الحرب، قادما لاستعمار بلاد المسلمين وهو ينشد قائلا:

(يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن...)[٤٢].

---

(٤٢) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب ارسلان ص٣٢. الطبعة الرابعة دار الفكر. بيروت ١٩٦٥.

وقال فيليب فونداسي:

(إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسةً عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره)[٤٣].

وقال (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس (جونسون) لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧:

(إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل لتاريخ العالم الغربي.. بفلسفته وعقيدته، ونظامه ... وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض الآخر من تاريخ العالم الشرقي. بفلسفته، وعقيدته المتمثلة في (الدين الإسلامي) وليس في وسع أمريكا التنكر لانتمائها للعالم

(٤٣) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله تأليف جلال العالم ص٤٥. الطبعة الثانية ١٣٩٥-١٩٧٥ نقلا عن: الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء تأليف فيليب فونداسي ص٢.

الغربـي؛ إذ إنهـا بـذلك إنمـا تتنكـر للغتهـا ودينهـا وفلسـفتها وثقافتها ومؤسساتها)(٤٤).

وإذا كـان الاستعمار قد عمل ليل نهار وبأساليب شتى من أجـل تثبيت وجوده فـي الـدول التـي تمكـن مـن السيطرة عليها، فإن هذا الاستعمار أو ذاك لم يركز في محاربة أمة من الأمم كما ركز في محاربة الأمة الإسلامية. ولم تستعر تلك العداوة من أجل أسباب سياسية أو اقتصادية وحدها، بل استعرت – فوق ذلك – لتحطيم الوجود الإسلامي وذلك بتذويب شخصية المسلم، والانحراف بمقومات وجوده، ليتقبل الثقافة الغربية بكل ما تحتجنه من شر وضلال، وفساد وانحلال وبذلك يكون المستعمر قد تمكن من إطفاء الجذوة المتقدة التي تدعو المسلم إلى مقاومة كل لون من ألوان الاستعمار.

لقد تطلع المستعمرون إلى القارتين: الأسيوية والأفريقية، وطمعوا فيهما. وفي هاتين القارتين يقطن مئات الملايين من

---

(٤٤) المؤامرة ومعركة المصير تأليف سعد جمعة ص٨٢. الطبعة الثالثة ١٩٦٩. دار الكاتب العربي.

المسلمين. هؤلاء المسلمون لا يمثلون قوة سياسية وحدها، بل يمثلون – فوق ذلك – قوة روحية إذا اندفعت لا يقف أمامها شيء؛ لذلك قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

(إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية: فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم)[٤٥].

وقال (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا السابق:

(ما دام هذا القرآن موجوداً –في أيدي المسلمين– فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[٤٦].

وهذا (انطوني ناتنج) يقول في كتابه (العرب):

(منذ أن جمع محمد صلى الله عليه وسلم أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار

---

(٤٥) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص٣١.

(٤٦) الإسلام على مفترق الطرق تأليف محمد أسد ص٤١ ترجمة الدكتور عمر فروخ. الطبعة الرابعة ١٩٦٢. دار العلم للملايين. بيروت.

العربي، أصبح على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجه عبر البحر الأبيض)[٤٧].

لقد بدأت تصريحات قادة الغرب في التحذير من الإسلام والإسلاميين قبيل تفكك الاتحاد السوفيتي. فهذا (نيكسون) رئيس الولايات المتحدة الأسبق قال لـ(غورباتشوف) حين زيارته لواشنطن سنة ١٩٨٥:

(يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب الأصولية الإسلامية)[٤٨].

وينصّ (نيكسون) في كتابه (نصر بلا حرب) على أنّ العدو الأكبر في العالم الثالث هو الأصولية الإسلامية[٤٩]. فقد ذكر في كتابه هذا: أنّ في العالم ثلاثة تيارات: التيار

---

(٤٧) القومية والغزو الفكري تأليف محمد جلال كشك ص٢١. مطابع دار الغد الناشر: مكتبة الأمل. الكويت.

(٤٨) وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج تأليف د. سفر عبد الرحمن الحوالي ص٧٢. وقد جعل الدكتور أحمد شلبي في كتابه (الحرب الصليبية) عبارة (نيكسون) هذه تصديرا لكتابه المذكور.

(٤٩)- المصدر نفسه ص٧٢.

الأوّل: سماه التيار الرجعي (القومي)، والتيار الثاني: التيار التقدمي العلماني بنظره، أما التيار الثالث: فهو التيار الأصولي المخيف، وقد قال فيهم: (هؤلاء الأصوليون ينطلقون من الماضي، لكنهم لا يعيشون في الماضي، بل عيونهم على المستقبل، هؤلاء ليسوا محافظين، بل هم ثوار، يريدون الإسلام دينا ودولة، ويريدون تطبيق الشريعة الإسلامية، ويريدون بعث الحضارة الإسلامية من جديد)[٥٠].

وتكتب مجلة (شؤون دولية) في عدد كانون الثاني سنة ١٩٩٠ فتقول:

(إنّ الغرب والفكر الشائع في الغرب–وليس مجرد دائرة من دوائر الغرب–يرى أنّ العدو الجديد هو الإسلام؛ لأنّ الإسلام أثبت أنّه حالة استثنائية في مقاومة العلمنة، فرغم العلم الحديث والتصنيع، استعصى الإسلام على العلمنة، ولا

---

(٥٠)–الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين للدكتور محمد عماره ص١٥– ١٦. الطبعة الأولى ١٤١٧– ١٩٩٧، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

يزال الإيمان الديني عند أهله قوي السيطرة، بل إنّه اليوم أشد مما كان منذ ١٠٠ عام، ومن ثم فإنّ الثقافة الإسلامية هي التحدي الوحيد للحضارة الغربية التي تتصف بالشك والتحلل واللاأدرية)[٥١].

وبعد تفكك (الإتحاد السوفيتي) كثرت تصريحات دهاقنة الغرب بوجوب الوقوف بوجه الحركات الإسلامية التي تريد العودة بالناس إلى تحكيم شريعة الله، فيقول(جيمي كارتر):

(والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام المتطرف. ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية- أيضا-والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة)[٥٢].

---

(٥١)- الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ص١٥.

(٥٢)- وعد كيسنجر ص٨١.

وهذه هيئة الإذاعة البريطانية تذيع في برنامج (عالم الظهيرة) ما يأتي:

(إنّ الجهد الرئيس للمخابرات الأمريكية الذي كان منصبّا لمراقبة إمبراطورية الشر –يعني الإتحاد السوفيتي– سيتجه أساسا لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي، ووضع العقبات والعراقيل أمامها)[٥٣].

ويعلن (ميتران) الرئيس الفرنسي الأسبق عن موقفه من الإسلام والإسلاميين اثناء انتخابات الجزائر فيقول:

(إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر، فسوف أتدخل عسكريا كما تدخّل (بوش) في بنما)[٥٤].

وهذا وزير خارجية إيطاليا –وهو في الوقت نفسه رئيس المجلس الوزاري للمجموعة الأوربية ويتحدّث باسم أوربا– يسأله سائل: ما المبرر لوجود حلف الأطلنطي بعد انتهاء حلف وارسو؟ فيجيب:

(المواجهة القادمة مع العالم الإسلامي).

---

(٥٣)– المصدر نفسه ص٦٩– ٧٠.

(٥٤)– المصدر نفسه ص٧٠.

ويسأله السائل: وكيف السبيل لتجنب هذه المواجهة؟ فيرد عليه قائلا:

(أن يُصلح الغرب من شأنه، وأن يقبل الآخرون النموذج الغربي، وإلاّ فسيكون العالم في وضع شديد الخطورة)[٥٥].

وكلام هذا السياسي واضح وصريح وهو يعني: أننا إن لم نتنازل عن هويتنا وثقافتنا وحضارتنا إلى الغرب، فإنّ حلف(الأطلنطي) هو الذي سيقوم بمهمة مواجهة الإسلام. يقول الإستاذ الدكتور مراد هوفمان الذي تسنّم عددا من المناصب المهمة في ألمانيا، وكان سفيرا لها في المغرب، وقد هداه الله للإسلام، وقد ألّف عددا من الكتب في الإسلام، يقول هذا الرجل:

(لقد أمضيت أربع سنوات من عمري، مديرا إعلاميا لحلف الأطلنطي، ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويه صورته)[٥٦].

---

(٥٥)- الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ص١٤.

الكيل بمكيالين

عداء الغرب للاسلام والمسلمين يبدو في قضايا كثيرة، ومنها: ما يظهر في نشرات الاخبار ووسائل الاعلام التي كان فيها ذكر الارهاب والارهابيين هنا وهناك، بل يأتي حتى في مسائل الارهاب المتعلقة بقضايا تاريخية. ويتجلى شئ من ذلك حين تذكر تلك الوسائل (هتلر)، فانها لا تقول: هتلر المسيحي الكاثوليكي، وحين تذكر (ستالين) لا تقول: ستالين المسيحي الارثذوكسي، ولكن اذا امسكت بعربي يحمل السلاح تقول: الارهابي المسلم، حتى لو كان غير مسلم من اية ديانة كانت من الديانات؛ لان المهم ان يقرن اسم المسلم بالارهاب. والامثلة على كيل الغرب بمكيالين اذا تعلق الامر بالمسلمين اكثر من ان تحصى. فهذه امريكا حين قامت بجرائمها الكبرى باسقاط القنبلة الذرية على (نجازاكي) و(هيروشيما) وقتلت من قتلت من

---

(٥٦)–الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات الإعلامية المعاصرة د.عبد الستار فتح الله سعيد ص٤٥ نقلا عن كتاب (حضارة العصر، الوجه الآخر) فقرة: التخدير بالحوار الديني ص٦٢ وما بعدها.

الناس الابرياء، وشوهت من شوهت، لم يسم العالم الغربي هذه القنبلة بالقنبلة المسيحية، لكن اذا ارادت دولة اسلامية ان تملك القنبلة الذرية نجد وسائل الاعلام الغربية والسياسيين الغربيين تقوم قيامتهم، ويكثرون من تحذير العالم من ذلك، ويظلون يدقون على هذا الوتر، حتى لقد سموا هذه القنبلة بالقنبلة الاسلامية. ان اسرائيل في عرف الغرب من حقها ان تمتلك القنبلة الذرية، ولكن لا يجوز لباكستان ان تمتلك شيئا من ذلك! اوليس ذلك كيلا بمكيالين؟. يقول الدكتور مراد هوفمان وهو يتحدث عن وسائل الاعلام الغربية كيف كانت تتعامل في اعلامها في الحرب التي استعر نارها في البوسنة والهرسك فيقول:

(سمى الاعلام الغربي ضحايا المسلمين بالمسلمين، لكنه اغفل ديانة المعتدين؛ فخلت وسائل اعلامهم من الاشارة الى ما يدين به الصرب القتلة، فقد كانوا مسيحيين ارثذوكس، او ما كان يدين به الكروات، فقد كانوا مسيحيين كاثوليك، وذلك بالرغم من علم الجميع وادراكهم لاسباب جرائم الصرب، وان تعطشهم المجنون للانتقام من معركة

دارت رحاها قبل ٦٠٠ عام في kosovo polje ويذكيها ويضرم نيرانها كل من بطريركي الصرب الارثذوكس واليونان الارثذوكس) [٥٧]

ونستطيع ان نرى ذلك –ايضا– على مسرح التاريخ الحديث، فان (هاييتي) حينما اجريت الانتخابات الديمقراطية فيها، وكان من المقرر ان يتولى الحكم فيها رجل مسيحي قام انقلاب عسكري ليجهض الممارسة الديمقراطية، وطار صواب امريكا وهيئة الامم المتحدة؛ فتدخلت امريكا على الفور؛ فانزلت قوات المارينز على ارض (هاييتي)؛ حرصا منهما على بقاء الحكم المسيحي ان يمس بسوء، اما في الجزائر، فقد اجريت الانتخابات فيها، وكان من المحتمل ان يتولى الحكم فيها ناس يسوسون الامة باحكام الشريعة الاسلامية، ولكن الانتخابات اجهضت فتنفست حكومات الغرب الصعداء، ولم تستنكر ما حدث! ولا بأس بالوقوف

---

(٥٧) ينظر: رحلة الى مكة تاليف الدكتور مراد هوفمان ص٢١٧ بتصرف، الطبعة الثانية ١٤٢٣-٢٠٠٢ مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

بوجه الديمقراطية اذا كان العمل بها يؤدي الى وصول دعاة الاسلام الى الحكم يقول المستشرق الامريكي والخبير بشؤون الباكستان (و.ك.سميث):

(إذا اعطي المسلمون الحرية في العالم الاسلامي، وعاشوا في ظل انظمة ديمقراطية، فان الاسلام ينتصرفي هذه البلاد وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الاسلامية ودينها.

وينصح رئيس تحرير (مجلة تايم) في كتابه (سفر اسيا) الحكومة الامريكية ان تنشئ في البلاد الاسلامية دكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الاسلام الى السيطرة على الامة الاسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته)[٥٨].

---

(٥٨) باقات الورود النضرة من حكايات المسلمين العطرة إعداد: كاتب المقال ص٣٠١ الطبعة الثالثة ١٤٢٣-٢٠٠٣، دار النفائس، عمان- الاردن

الغرب قاعدة لليهود

لم يكن لليهود أن تقوم لهم دولة، لو لم يقم العالم الغربي بمدّهم بكل أسباب القوة المادية والمعنوية. فقد قام بارساء دعائم الكيان الصهيوني مستعملاً اساليب المكر والخديعة والكذب، وبدأت طلائع ذلك التآمر في حملة (نابليون) على الشام؛ فقد قام بتمويل اليهود، واعلن ذلك على رؤوس الاشهاد امام اسوار عكا في ١٧٩٩/٤/٤ عن قيام وطن قومي لليهود، فقد خاطبهم بقوله: (يا ورثة فلسطين الشرعيين)!! ولكن الله خيب حملته فأخفقت. وبعد ذلك اتجهت انظار الحركة الصهيونية الى بريطانيا، وحدث (وعد بلفور) المشؤوم في ١٩١٧/١١/٢، وصدرت –بعد ذلك– تصريحات للمسؤولين الانكليز تسير على وفق (وعد بلفور) وتؤيده، فصرح وزير المستعمرات البريطاني (ونستون تشرشل) سنة ١٩٢٢ قائلا:

(ان بريطانيا ملزمة بتنفيذ وعد بلفور، وليس في وسع العرب منع تنفيذه، وليس امامهم الا ان يقبلوا به)[٥٩]

وهكذا تمت المؤامرة حتى قامت دولتهم سنة ١٩٤٨. وكان لفرنسا الدور المهم في مساعدتها، فقد أمدتها بالمفاعلات الذريّة التي تمثّل أسلحة الدمار الشامل، وأما أمريكا، فقد قامت بحمايتها ورعايتها منذ الأيام الأولى لتكوينها، وظلّت تمدّها بالمال والسلاح، وتدافع عنها بالباطل في هيئة الأمم، ومجلس الأمن، والمحافل الدولية...وقد قال(كندي) رئيس الولايات المتحدة الأسبق في خطابه الانتخابي في (نيويورك) في ١٥/٨/١٩٦٠:

(إنّ إسرائيل وُجدت لتبقى، وهذا التزام لا يقبل النقاش والنقض، وإنّ الصداقة بين هذه البلاد وإسرائيل ستنمو وتزدهر على الدوام. وإذا كان الرئيس(ترومان) هو أوّل من اعترف بخلق إسرائيل، ومنحها الدعم والمضمون الواقعي في

---

(٥٩) شعب فلسطين امام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني تاليف الاستاذ: حسني ادهم جرار ص١٦ الطبعة الاولى ١٩٩٢، دار الفرقان/ عمان- الاردن

المجال الدولي، فأنا أزيد على ذلك بأنّي أؤمن، وألتزم بصورة قاطعة، باستمرار هذه السياسة، وبأنّ واجب البيت الأبيض أن يرعاها ويؤكدها في كل مجال)[٦٠].

وقال (كيسنجر) وزير خارجية أمريكا الأسبق:

(إنّ ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو جيد لإسرائيل ومصالح إسرائيل، والولايات المتحدة تتناسب مع بعضها البعض؛ لأنّ وجود إسرائيل قوية هو لصالح المصالح الأمريكية)[٦١].

وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدات والتبرعات إلى الكيان الصهيوني. وحسبنا أن نعلم أن تلك التبرعات والمساعدات وصلت إلى ٣٠% من إجمالي ميزانية المساعدات الأمريكية. ففي سنة ١٩٨٧ صادق الكونكرس الأمريكي على منح إسرائيل مساعدات سنوية ثابتة تُقدّر بـ ٣ مليارات من الدولارات، وقدّمت لها -

---

(٦٠)- المؤامرة ومعركة المصير تأليف سعد جمعة ص٩- ١٠.

(٦١)- سياسة أمريكا تجاه العالم الإسلامي للمؤلف ص٢٣- ٢٤. الطبعة الأولى ، مطبعة الزهراء، الموصل.

أيضا–عام ١٩٩١ معونة مالية تُقدّر بـ٢مليار من الدولارات، فوق مساعدات أخرى تصلها بين حين وآخر[٦٢].

ولقد اقرَّ بعض مؤرخي الغرب بالجريمة الكبرى التي ارتكبها العالم الغربي باغتصاب فلسطين وتمكين اليهود فيها، فقال المؤرخ البريطاني (توينبي):

(واذا كانت الدول الغربية تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية ما حدث في فلسطين، فان بريطانيا المحتلة والمنتدبة تتحمل القسط الاكبر من محنة الحق والانسانية في فلسطين، فقد كان موقفها الشامل لجميع حكوماتها المتعاقبة، ولكل احزابها الحاكمة هو التواطؤ المرسوم مع الصهيونية، والتآمر المرير ضد فلسطين، والتعامي الجدير بالادانة والاتهام)[٦٣]

---

(٦٢)– ينظر القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب تأليف د. محمد بن عبد الله السلومي ص٣٩١ الطبعة الثانية ١٤٢٤– ٢٠٠٣.

(٦٣) شعب فلسطين امام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني ص١٢ نقلا عن: دراسة التاريخ تأليف: توينبي ٣٠٤/٨.

الغرب وسلمان رشدي

لم يكن عداء الغرب لديننا وامتنا حديث عهد، بل هو قديم يمتد إلى زمن الحروب الصليبية وإلى يوم الناس هذا، وقد تعددت محاربته لديننا؛ فأثار الشبهات عن العقيدة والشريعة الإسلامية، وعن السنة النبوية، وعن رسول اللهﷺ، واللغة العربية، وكذلك مقومات ثقافتنا وحضارتنا...وحسبنا أن نذكر هنا مواقف زعماء الغرب وقادته من الكاتب المغمور (سلمان رشدي) الذي كتب كتابا سماه (آيات شيطانية)، أساء فيه إلى القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية وسيدنا محمدﷺ، بل أساء إلى الإسلام بكل ما فيه، فماذا فعل ساسة الغرب تجاه من أساء إلى الإسلام هذه الإساءات؟

لقد احتضنه الغرب، ودافع عنه، وأمده بكل أسباب القوة المادية والمعنوية، وصارت دور النشر الغربية تتهافت على طبعه لا لشيء إلاّ لتهجمه على مشاعر المسلمين.. وحسبنا أن نذكر هنا أن الرئيس الأمريكي الأسبق (كلينتون) استضافه في البيت الأبيض، ودعاه رئيس الوزراء البريطاني

السابق إلى منزله ليتناول معه طعام العشاء، ونجد حكومات العالم الغربي تظهر معه في لقطات تذكارية..! ولم يكن سلمان رشدي هو الوحيد الذي أساء إلى الإسلام واحتضنه الغرب، فهناك الكثير من أمثاله ممن يحارب الإسلام جهارا نهارا يحظى بمساندة الغرب له والدفاع عنه. (وهكذا أصبح التعدي على مشاعر المسلمين أسرع طريق للشهرة في الغرب الآن)[٦٤].

---

(٦٤)- الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات الإعلامية المعاصرة للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ص٤٨. الطبعة الشرعية ١٤٢٣- ٢٠٠٣، دار الدعوة الإسكندرية، مصر.

الصور الساخرة من النبي ﷺ

ما بين فترة وأخرى تطلع علينا وسائل الإعلام الغربية بعرض كلمات تافهات، ينال فيها قائلها من هذا الدين، وتعددت صور تلك الكلمات المسيئة، حتى بلغ الأمر أن تجرّأت قناة وقحة هي القناة الوطنية الدانماركية الرسمية **T.V.2** فقامت ببث مقاطع من برنامج تلفزيوني أعدته شبيبة حزب الشعب الدانماركي –وهو حزب يشارك في الحكومة–. والبرنامج عبارة عن مسابقة تبرز أكثر الطرق إهانة وسخرية من النبي محمدﷺ، وقد أعادت صحف غربية أخرى: نرويجية وفرنسية وغيرهما نشر تلك الصور التافهة. وكل متأمّل في أوضاع العالم الغربي اليوم، يُدرك أنّ المسألة ليست مسألة سفهاء وقحين أرادوا النيل من أكرم رسول وأفضل نبي سيدنا محمدﷺ، لكنها مسألة مخططات دقيقة يقوم بها العالم الغربي؛ لتصدّ الناس عن الانضواء تحت لواء الإسلام. ويدل على هذا أنّ تلك الإساءات أقرتها قيادات المجتمعات الغربية في مؤتمرات دولية عالمية، وفي وسائل الإعلام، بل أُقرّت حتى من الاتحاد الأوربي بحجة

حرّية الرأي التي لا تقبل التفاوض. ولم تكن هذه أوّل إساءة توجّه إلى الإسلام ونبي الإسلام، بل حدث قبل هذا مرات ومرات: حدث من دول مثل فرنسا يوم كانت مستعمرة للجزائر، وحدث لإيطاليا يوم كانت مستعمرة لليبيا، وكذلك لكثير من البلاد العربية والإسلامية. أما الجزائر، فقد انتُزعت المئات من جوامعها ولم تُبق فرنسا في العاصمة إلا جامعين اثنين، وحولت الجامع الكبير إلى (كاتدرائية) نصبت فوقها الصليب، وأغلقت مدارس المسلمين، وصرّح (جورج بيدو) وزير خارجية فرنسا يومئذ قائلا:

(لن أدع الهلال يغلب الصليب في الجزائر).

أمّا على نطاق الأفراد، فقد كثر المستشرقون الذين أساءوا إلى الإسلام في كتاباتهم ومحاضراتهم من أمثال (جولد تسيهر) و(لويس ماسينيون) و(يوسف شاخت) و(هنري لامنس) و(صاموئيل هانتغتون) و(برنارد لويس) وأعداد كثيرة لا يتسع المجال لذكر أسمائهم. ومن سلسلة هذه الإساءات: الإساءات إلى نبينا محمدﷺ. ولقد ظنّ الناس أنّ تلك الإساءات في القناة الوطنية الدانماركية لا تُمثّل رأي الحكومة الدانماركية، فقد قام بها غلمان سفهاء

أغرار، وسينساها النّاس بعد أيام، لكن الأمر ليس كذلك: فقد انطلقت تلك الإساءات الوقحة مرّة أخرى في الدانمارك. والمتأمّل في أوضاع العالم الغربي يرى أن تلك الحملات الوقحة ضد الإسلام ونبي الإسلام لم تكن اجتهادات شخصية، وليست بزلات لسان، ولا عملا بحريّة الرأي والفكر والتعبير كما يزعمون، وإنما الأمر أمر مخطط رهيب يقوم به الغرب، مستخدما ما يمكنه استخدامه من الوسائل الإعلامية والثقافية والسياسية.

غزو العراق

الحرب على العراق لم تكن وليدة يوم وليلة، بل كانت مخططا لها من قبل، فقد عُيّن (شوارتزكوف) قائدا لقوات التدخل السريع سنة ١٩٨٩، وفي أواخر السنة نفسها، قدّم تقريرا يذكر فيه أنّ الخطر الأوّل والرئيس الذي يهدد المصالح الأمريكية هو العراق. والمعروف عن أمريكا في كل سنة أنها تقوم بتمرين قواتها المسلحة في اتجاه قضية من القضايا. وفي سنة ١٩٩٠ كان مخطط التدريب: أنّ العدو هو العراق وليس الاتحاد السوفيتي. كل هذا –وغيره كثير– ذكره (شوارتزكوف) في مذكراته. وبدأ التدريب فعلا سنة ١٩٩٠. وفي هذه السنة ازدادت الحملة الشديدة على العراق عن المدفع الكبير الذي كان يسميه الناس: المدفع العملاق، وذلك لإعلام العالم الغربي بحقيقة الخطر العراقي–كما يسمونه–!.

اتُّهم العراق بأنّ له يدا في تفجيرات الحادي عشر من أيلول، وتبيّن–فيما بعد–أنّ العراق لا علاقة له بهذا من قريب ولا من بعيد. فهذا وزير الخزانة الأمريكي (أونيل)

يذكر في كتابه (بوش في حالة حرب): أنّ أوّل اجتماع حدث بعد أحداث الحادي عشر من أيلول أنّ مجموعة (رامسفلد) طرحت موضوع الهجوم على العراق، من غير أن تعرف اليد التي قامت بالتنفيذ. وسمع (بوش) الابن الكلام، فكان جوابه: حضّروا الخطط الموجودة لديكم وسننظر فيها.

أتُهم العراق بامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل. وجاءوا إلى العراق وفتشوا عنها في كل مكان: فتشوا عنها في دوائر الدولة وفي كل مؤسسة من مؤسساتها، بل فتشوا حتى في عدد من مساجد المسلمين، وفي البيوت الخاصّة، مع كثرة العملاء لهم والسائرين في ركابهم، فلم يروا شيئا مما طبّلت به وزمّرت أمريكا والإعلام الغربي.

ولقد توقفت أنشطة المفتشين الدوليين سنة ١٩٩٨، فقامت أمريكا بحملة إعلامية ودبلوماسية داخل المحافل الدولية وخارجها لتدعم موقفها في الحصول على قرار يجيز لها استخدام القوة ضد العراق، ولكن لم تنجح في هذا – أيضا–.

لم تقف أمريكا عند هذا الحد، فقد أعلنت الحرب على العراق، ولم يكن يعنيها أن تكون الحرب مشروعة أو غير مشروعة، بدليل أنّها أعدت للحرب قبل الشروع فيها بوقت كاف للاستعداد للحرب على العراق لكنها أخفقت، وقد أذعنت حكومة العراق لتلك الإجراءات التعسفيّة التي فُرضت عليها –وبخاصة– في التفتيش بل إنّ هذه الإجراءات قد يكون قسم منها انتهاكا لسيادة العراق واستقلاله السياسي، حتى صار مستباحا لكل لون من ألوان التفتيش، وقبل العراق بهذا لعل الحرب لا تقع.

ومع ذلك كله فقد وقع الغزو على العراق وقتّل المحتل من قتّل، ورمّل من النساء من رمّل، وكثرت اليتامى، وخُرّبت المصانع، فعمّت الفوضى في العراق، واستشرى الفساد في كل مكان.

وإنّ من أعجب العجب– وإن شئت فقل لا عجب– أن يُصرّح (كولن باول) وزير الخارجية الأمريكي قائلا:

(إنّ أمريكا كانت تعلم–قبل غزوها للعراق– أنّه خال من أسلحة الدمار الشامل، ولكنها كانت تخشى أن يكون لدى صدام حسين (نية) لمحاولة حيازة هذه الأسلحة)[٦٥].

أهكذا من أجل شك بل توهم وجود (نية)، لمحاولة حيازة هذه الأسلحة، تقوم أمريكا بشن حربها المجنونة على العراق، وتهدم البنية التحتية، وتقتل مئات الآلاف من العراقيين، ويضيع استقلال العراق، وتهجّر العوائل من أجل (توهم وجود نية)؟!!!.

هذه هي أمريكا، وهذه قصتها في احتلال العراق. ولقد كتب سيد قطب–رحمه الله– مقالات محذّرا أمتنا من عداء أمريكا لها منذ سنة ١٩٥١، فكتب يقول:

(إنّ الجبهة الغربية المؤلفة من أمريكا وإنجلترا وفرنسا تستعبدنا، وتستذلنا، ولا مكان لنا فيها إلا مكان الذيول والعبيد)[٦٦].

---

(٦٥)– الإسلام دين السلام ص٥٤

(٦٦)– معركة الإسلام والرأسمالية تأليف سيد قطب ص٢٩.

ويقول:

(أمريكا بدولاراتها، وطياراتها، ودباباتها، وقنابلها الذرية، تحمي الاستعمار في كل مكان، وترد له هيبته الضائعة، وتقتل المواطنين الأحرار، الذين يدافعون عن بلادهم، وتخذل قضايا الحرية في هيئة الأمم المتحدة، وفي مجلس الأمن...)[٦٧].

---

(٦٧)- دراسات قرآنية تأليف سيد قطب ص١٦٩- ١٧٠.

المؤسسات الخيرية الإسلامية

دعا الإسلام المسلم إلى أن يقوم بأعمال خيرية، وجعل ذلك عبادة من العبادات التي يتقرّب بها المسلم إلى الله عز وجل، بل جعل ذلك أساسا مهما من أسس الدين الكامل. فكما أنّ المسلم مكلف بعبادة الله وحده، فإنّه مطالب-أيضا- بفعل الخير: كتفريج كربة المكروبين، وإغاثة المحتاجين بإطعام الجائع، وكسوة العاري، ورعاية اليتامى والأرامل، ومعالجة المريض، وتعليم الجاهل، وكل نوع من أنواع الخير، قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[٦٨].

واستجاب المسلمون لما دعا إليه القرآن الكريم وما دعت إليه السنة النبوية، فسارعوا منذ عهد النبيﷺ يقومون بأعمال الخير والبر التي ينتفع منها الإنسان والحيوان وكل ما في الوجود؛ فأثمر ذلك ثمرات طيبة تتمثّل بذلك التماسك والتآلف بين المسلمين. وقد عزّ على العالم الغربي أن يرى

---

(٦٨)- سورة الحج /٧٧.

المجتمع الإسلامي بهذا الترابط الاجتماعي الذي تفقده المجتمعات الغربية، فقام بشنّ حملات ظالمة على المؤسسات الخيرية الإسلامية في العالم الإسلامي، بدعوى مساندة تلك المؤسسات للإرهاب في العالم، من غير أن يكون له دليل على ذلك، اللهم إلا إلباس الحق ثوب الباطل. وكان للإعلام الغربي المضلل وتصريح السياسيين الغربيين له الأثر الكبير في ترويج الافتراءات عن المؤسسات الخيرية، يقوم بها ناس من ذوي الاختصاص في ترويج الإشاعات الكاذبة، في وقت لا تملك تلك المؤسسات الخيرية الإسلامية من يزيح عنها الشكوك ويدفع الأباطيل؛ إذ ليس لديها محامون متخصصون يدفعون عنها عادية الأعادي.

وعند التأمّل نرى أنّ هذه الحملات لم تصدر من ردود أفعال لحادثة طارئة، بل انطلقت من استراتيجيات مسبوقة بتخطيط للوقوف بوجه المؤسسات الخيرية الإسلامية، فكان الغرب ينتهز الفرصة المناسبة لينقضّ على تلك المؤسسات التي تقوم بأعمال جليلة في تقديم الخير والمساعدة لذوي

الحاجة. فلما وقعت الواقعة في تفجير برجي التجارة في (نيويورك) في ١١/أيلول/٢٠٠١. وجدت أمريكا والعالم الغربي أنّ الوقت قد صار مناسبا لتنفيذ ما خُطط له من قبل من الانقضاض على هذا المشروع الإسلامي - والمشروع الإسلامي فقط- وحسبنا أن نذكر أنّ الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) صرّح في ١٢/أيلول/٢٠٠١ أي بعد يوم واحد من التفجيرات للصحفيين قائلا:

(سيكون الصراع بين الخير والشر صراعا تاريخيا، لكن سيسود الخير في النهاية)[٦٩].

ونسي الرئيس الأمريكي أو تناسى أنّه في الساعات الأولى من التفجير كان قد صرّح قائلا:

(إنّ الحدث فوق مستوى منظمة أو منظمات من الشرق الأوسط)[٧٠].

---

(٦٩)- القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب د. محمد عبد الله السلومي ص٩

(٧٠)- القطاع الخيري ص٢٦.

ولا أدري أمام هذين التصريحين -وكان بينهما يوم واحد فقط- أكان الرئيس الأمريكي يجهل من قام بالتفجيرات، أم أنّه كان يعلم، ولكنه المكر الذي انكشف أمره فيما بعد؟!!

لقد ركزّ الإعلام الغربي على أنّ التفجير قام به من يسمون أنفسهم بالقاعدة. ولا أريد هنا أن أبرئ القاعدة من جرائم وقعت فيها، لكنّي أقول: لم يثبت أنّ القاعدة هي التي قامت بذلك التفجير. ولو فرضنا أنها هي التي قامت بتلك الجريمة التي استنكرها المسلمون قبل غيرهم، فإنّ القاعدة- وحدها- هي التي تتحمل مغبّة ما قامت به في الدنيا والآخرة، هكذا يقول العقل والمنطق السليم، أمّا معاقبة الأمة الإسلامية -كلها- بسبب أفراد قلائل، فلا يُقرّه شرع ولا قانون. وعلى فرض أن القاعدة هي التي قامت بذلك، فإنّ الكثير من اليهود والنصارى قاموا بأعمال إرهابية شنيعة ربما لا تقل عن هذه الجريمة إن لم تزد عليها، ولم تقف السياسة الغربية محملة اليهود والنصارى شيئا من ذلك.

ويستطيع المتابع لسياسات الولايات المتحدة أن يدرك أنّ الحصار على المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي لم

تبدأ بتفجير برجي التجارة، بل كانت بدايتها الأولى (تعود إلى بدايات القرن التاسع عشر عندما ابتدأ [المسلمون] تأسيس هذه الجمعيات، كردّ فعل على اجتياح الإرساليات التبشيرية الغربية للدول العربية التي جاءت مرافقة للاستعمار وفي حمايته؛ لترويج مشروعات المستعمر الثقافية والعلمية، حيث تصدت لها الجمعيات العربية والإسلامية للحفاظ على هويتها، وهو ما تسبب في اصطدامها بالاستعمار الذي حاول تقييدها والسيطرة عليها)[٧١] .

وازدادت حدة الوقوف أمام المؤسسات الخيرية الإسلامية خلال عهدي (بيل كلينتون) الرئاسية. ففي تلك الفترة نما النفوذ الصهيوني في أمريكا أكثر من ذي قبل، وازدادت شراسة هذه الحرب بعد أحداث ١١/أيلول/٢٠٠١؛ إذ اتُهمت المؤسسات الخيرية الإسلامية بتمويلها للإرهاب في العالم. وعند ذاك صارت الضغوط تتوالى على حكومات البلاد العربية والإسلامية من أجل تحجيم عمل المؤسسات

---

(٧١)- القطاع الخيري ص٣٨٧.

الخيريـة، وحسـبنا أن نـذكر هنـا أنّ سـفير الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي مصـر، قـام بمطالبـة شـيخ الأزهـر بـإغلاق ٢٥ جمعية من الجمعيات الخيرية.

المستشرقون

المستشـرقون هـم الغربيـون الـذين كتبـوا ويكتبـون فـي الاسـلام وحضـارته. ولغتـه وتاريخـه وأوضـاعه الاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية وديانات الشرق وقد بدأت طلائعهم فـي القـرن الثـامن عشـر، وفيـه بـدأ الغـرب اسـتعماره للـبلاد العربيـة والاسـلامية، فقاموا بدراسـة اللغـة العربيـة ومـا يتعلـق بالاسلام من عقيدة وشريعة وتاريخ واخلاق.

وحـين نـدرس تـاريخ المستشـرقين نـرى ان اكثـرهم مـن مـوظفي المؤسسـات الصـهيونية او الـدوائر الاسـتعمارية او الاسـاقفة او الكهنـوت، ومـن هـؤلاء مـن جمـع بـين خدمـة الكنـائس والاسـتعمار معـاً فـي الوقـت نفسـه: كالمستشـرق الفرنسـي (لـويس ماسينيون) والمستشرق الانكليزي (هاملتون جـب)، والمستشرق الهولنـدي (سنوك)... فقد كـان هؤلاء – وغيرهم كثير– على اتصال دائم بوزارات الاستعمار، وعمل قسم منهم في مجال التنصير الذي كان يسمى بالتبشير. فلا نعجب اذا علمنا ان المستشرقين قاموا بتقديم خدمات كبيرة للاستعمار؛ فقد كانوا يدرسون عوامل القوة في المسلمين من

اجل القضاء عليها، وجوانب الضعف من اجل تعميقها. وقبل ان تبدأ الجمهرة من المستشرقين بكتابة بحوثهم تضع لها اهدافا تبغي الوصول اليها، فصاروا يتصيدون العبارات من هنا وهناك من غير ان يتحققوا من صحتها، ويقومون بتحريف النصوص تحريفا مقصودا، ويسوقون الخبر مقطوعا عن مصدره، ويستنبط بعضهم استنباطات تضحك حتى الثكلى. يقول مستشرق انكليزي:

(كان اله محمد الناقة التي كان يركبها، والدليل على ذلك انه حينما هاجر الى المدينة ودعاه اهلها للنزول عندهم قال لهم: دعوا الناقة حيث تبرك)[٧٢].

وكل من يطلع على كتابة جمهرة المستشرقين، يرى انهم اساؤوا الى تاريخنا، وعملوا على التشكيك بديننا، وقاموا بوضع شبهات كثيرة عن العقيدة والشريعة الاسلامية: فأنكروا ان يكون القران منزلاً من عند الله، وشككوا بصحة

(٧٢) اجنحة المكر الثلاثة للاستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٨٩. الطبعة الثانية ١٤٠٠ –١٩٨٠ . دار القلم دمشق– بيروت.

رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ومصدرها الالهي، وانكـروا نبوتـه، وزعمـوا ان الاسـلام انتشـر بالسـيف، وان المسـلمين مجبولـون علـى حـب سـفك الـدماء، وان الاسـلام ملفق مـن اليهوديـة والنصـرانية، وان الفقـه الاسـلامي مسـتمد من القانون الروماني، ولقد كانت كتاباتهم تبغي نشر الديانـة المسيحية، ومحاولة اقناع الناس ان الفضائل المسيحية تفوق فضـائل الاسـلام، فيقـول المستشـرق الفرنسـي(لويس ماسنيون):

(ان الطـلاب الشرقيين الـذين يـأتون الـى فرنسـا يجـب ان يلونوا بالمدنية المسيحية) [٧٣].

ومن الاساليب التـي اتبعهـا هـذا المستشرق: الـدعوة الـى الكتابة بالعامية، لتنقطـع الصـلة بين العرب، فلا يفهم العراقـي علـى المغربـي، ولا التونسـي علـى السـوري... وبهـذا تنقطـع صـلة العـرب بـالقران الكـريم وبتـراثهم وتـاريخهم. ويعتـرف

---

(٧٣) التبشير والاستعمار تاليف عمر فروخ ومصطفى الخالدي ص٨٩

بالـدوافع التـي دفعتـه للبحـث فـي شـؤون الشـرق الاسـلامي فيقول:

(لم نبحث في الشرق الا عن منفعتنا، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وأدبهم. والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم اخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد اننا نرغب ان نبقيهم ضعفاء [٧٤].

ويعرب المستشرق (شاتلييه) عن الاساليب التي تخضد شوكة المسلمين فيقول:

(اذا اردتم ان تغزو الاسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الاول والرئيس لاعزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم- عليكم ان توجهوا جهود هدفكم الى نفوس الشباب المسلم والامة الاسلامية، باماتة روح الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم وكتابهم القران وتحويلهم عن كل ذلك بوساطة نشر ثقافتكم

---

(٧٤)مجلة الوعي الاسلامي الكويتية العدد١٢ ص٧٥. ومن حاضر اللغة للاستاذ سعيد الافغاني ص١٧٤ط٢. بيروت.

وتــاريخكم، ونشــر روح الاباحيــة، وتــوفير عوامــل الهــدم المعنــوي، حتــى لــو لــم نجــد الا المغفلــين مــنهم والســذج والبسطاء لكفانا ذلك؛ لان الشجرة يجب ان يتسبب لها في القطع احد اغصانها(٧٥).

ويبدو حقد قسم من المستشرقين على الاسلام والمسلمين فــي صــورة مــن اوضــح الصــور، حــين تقــرأ مــا كتبــه المستشرق(كيمون) في كتابه (ميثولوجيا الاسلام) فيقول:

(إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مروع، وشلل عام، وجنون ذهني، يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها الا سفك الدماء، ثم يدمن على معاقرة الخمر، ويجمح في القبائح!!

وما قبر محمد في مكة (؟) الا عمود كهرباء يبث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع (الهستريا) والذهول العقلي، وتكرار لفظة (الله الله) الى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب الى طباع اصلية:

---

(٧٥) اجنحة المكر الثلاثة ص٩٩.

ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من افكار القسوة والفجور في الملذات)[٧٦].

ويقول المستشرق (جويليان) في كتابه (تاريخ فرنسا):

(إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد امر اتباعه ان يخضعوا العالم، وان يبدلوا جميع الاديان بدينه هو، ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى! ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: اسلموا او تموتوا، بينما اتباع المسيح اراحوا الناس ببرهم واحسانهم، ماذا كان حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين او المراكشيين)[٧٧].

ولقد اصاب الاستاذ محمد اسد الذي كان يسمى (ليوبولد فايس) كبد الحقيقة حين ذكر ان موقف المستشرقين الاوربيين من الاسلام عميق الجذور من الكراهية، مع التعصب الشديد ضده فيقول:

---

(٧٦) الاسلام في العقل العالمي للدكتور توفيق يوسف الواعي ص ١٩١–ط ١ ١٤١٠– ١٩٩٠. دار الوفاء / المنصورة

(٧٧) الاسلام في العقل العالمي ص ١٩١– ١٩٢

(إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول اثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهذا مع اقتناعه شخصيا باجرام موكله، لا يستطيع اكثرمن ان يطلب له مع شئ من الفتور اعتبار الاسباب المخففة ... ويظهر انهم ينتشون بشئ من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة –حقيقية او خيالية– ينالون بها من الاسلام عن طريق النقد)[٧٨].

ولقد كان لليهود دور مهم في حركة الاستشراق، حتى استطاع قسم منهم ان يصل الى الجامعات؛ لينفث من خلالها سمومهم. فهذا المستشرق (جولدزيهر) –وهو يهودي مجري– استطاع ان يبلغ شأواً كبيرا لدى المستشرقين، حتى صار رئيس علماء الاسلاميات في اوربا، واهتم المستشرقون بكتاباته ودراساته التي فيها من الطعن بالاسلام ما فيها.

وهذا المستشرق(شاخت) –وهو يهودي ايضا– جاء من بعد (جولدزيهر). واهتم المستشرقون –ايضا– بما دوّنه من كتابات –وهي ككتابات من سبقه– حتى صارت كتبه وكتب

---

(٧٨) الاسلام على مفترق الطرق للاستاذ محمد اسد ص ٥٢–٥٤.

(جولدزيهر) من اهم مراجع المستشرقين، وقد دخلا الحركة الاستشراقية باسم الاستشراق الاوربي لا باسم اليهود؛ ليتمكنا من القيام بمهمتيهما من غير ان ينتقدهما احد. وليس هذان المستشرقان وحدهما من اليهود، فهناك الكثير غيرهما مثل: (مرجليوث) و(ليفي بريل) و (برنارد لويس) و (مكسيم رودنسون)...

ولا بد لنا ان نكون منصفين، فنذكر ان من المستشرقين اناساً كرسوا حياتهم لخدمة العلم من غير ان يؤثر بهم تعصب ديني او سياسي، وبفضل هؤلاء ظهرت اعداد من نوادر المخطوطات الاسلامية الى الوجود وهناك من المستشرقين من اشاد بهذا الدين وحضارته، وكتب كتبا مهمة في الحضارة الاسلامية وقد هداهم الله للاسلام، ومن هؤلاء (ليوبولدفايس) الذي اسلم وتسمى باسم محمد اسد، و(دينيه) و (جرمانوس) و (بوكهارت) و (فلوري) و (ميشو بيللر) وغيرهم ولكن جمهرة المستشرقين ظلت عقابيل الحروب الصليبية تجري في دمائهم، ذلك ان المستشرق المنصف كثيرا ما تنهال عليه وعلى كتابته الردود، متهمين

له بالانحراف عن المنهج العلمي ، وسيره وراء العاطفة، او مجاملته للمسلمين كما فعلوا مع (توماس .و. ارنولد) حين الف كتابه القيم (الدعوة الى الاسلام).

واخيراً: فان الحركة الاستشراقية استطاعت ان تغرس غرسا خبيثا في نفوس (مثقفينا)، وان تشككهم بتاريخهم وحضارتهم ... ولكن من نعم الله على هذه الامة ان تنبه الى خطورتهم وما يحملونه من تشكيك في تراثنا علماء فقهاء حكماء، فندوا شبهاتهم الواحدة بعد الاخرى، واماطوا اللثام عن دوافعهم ومناهجهم المبنية على الهوى والافتراء.

الشيخ محمد عبده وعبد القادر عودة والاحتلال الانجليزي لمصر

الشيخ محمد عبده مصلح اجتماعي، وعالم كبير من علماء مصر المحققين المجتهدين. ولد سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٩٠٥. أخذ عن جمال الدين الافغاني منهجه في اصلاح المجتمع والاصلاح الديني وخالفه في بعض الفروع، وقام بتطوير وتعميق اليقظة الاسلامية في التربية والتعليم، وتكوين دعاة للإسلام، دعا الى فتح باب الاجتهاد الذي قال بعض العلماء بسده منذ القرن الرابع الهجري، كما عمل على اصلاح الازهر، وابراز تشريعات الإسلام على قدرتها على مواجهة الحضارة الغربية، وأخذ المفيد من علومها، وكذلك قام بمقاومة الجمود الذي كان عليه كثير من علماء عصره بعقل مستنير، وواءم بين التراث الاسلامي الذي دبجه علماؤنا السابقون واحتياجات العصر، وعالج في لقاءآته وكلماته وكتاباته الكثير من قضايا امته، ومن ذلك: موقفه من احتلال الانجليز لمصر.

اما عبد القادر عودة، فهو قانوني كبير، وفقيه واسع الافق. ولد سنة ١٩٠٦ واستشهد سنة ١٩٥٤، له عدد من الكتب القيمة، منها: موسوعته الموسومة: (التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي) الذي كان وما زال كذلك مرجعا مهما من مراجع علماء القانون والفقه، وقد طبع طبعات كثيرة، وترجم الى عدد من لغات العالم، وكذا كتابه (الاسلام واوضاعنا القانونية) و(الإسلام واوضاعنا السياسية) و(الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه) و(المال والحكم في الإسلام)، وقد صار الوكيل العام للإخوان المسلمين في عهد الاستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للاخوان المسلمين، وكانت له جهوده الكبيرة في حرب الانجليز في قناة السويس.

وهذه مقتطفات مما قاله الشيخ محمد عبده، ومما دبجه الشهيد عبد القادر عودة، وهي تعبر عن موقف الاسلام من المستعمر الذي احتل بلاد المسلمين.

ونبدأ بالشيخ محمد عبده: فحين ارسل الامام من قبل قيادة تنظيم (العروة الوثقى) الى (لندن) لعرض قضية

الاحتلال الانجليزي لمصر على قادة المجتمع الانجليزي اولا، والرأي العام –بعد ذلك– ادلى بحديثه الى صحيفة (البول ميل جازيت) في ١٨٨٤/٨/١٧، وخاطب في حديثه الانجليز فقال:

(.. وإن عطفكم علينا كعطف الذئب على الحَمَل. ولقد قضيتم على عناصر الخير فينا؛ لكي تكون لكم من ذلك حجة للبقاء في بلادنا.. لمَ لا تغادرون بلادنا في الحال؟!.. شكونا من الاتراك؛ لانهم أجانب عن وطننا، وأردنا لبلادنا اصلاحاً وتقدما كتقدم الاوربيين في طريق الحرية، ولكننا الان نعلم ان هناك ما هو شرٌ من استبداد الحكام، وشر من ظلم الاتراك، وليس في مصر من بلغ به الظلم حداً يرجو معه مساعدتكم.. إن لنا اليكم رجاءاً واحداً، وهو ان تغادروا بلادنا حالا الى غير رجعة..)[٧٩].

---

(٧٩) الاعمال الكاملة للإمام الشيخ محممد عبده ٧٠٣/١-٧٠٤ تحقيق الدكتور محمد عمارة. الطبعة الثانية ١٤٢٧-٢٠٠٦ دار الشروق، بيروت

ولما سأله مندوب الصحيفة: اننا اذا تركنا مصر، فان الفرنسيين سيحتلون بلادكم بدلا عنا، أجاب الشيخ،

(الفرنسيون يعرفون اننا لا نقبل حكمهم، كما لا نقبل حكمكم، نقاومهم كما قاومناكم. اننا لا نريد لوطننا حكاماً أجانب عنَّا كائنة ما كانت بلادهم، ونحن نعرف كيف نجعل حكمهم فينا امراً مستحيلاً، ومهما يكن الحال، فالفرنسيون لا يستطيعون ان يسيئوا الينا اكثر مما اسأتم انتم)[٨٠].

ولما سأله المندوب: اليس المهدي خطراً على بلادكم؟ أجاب الشيخ:

(لا خطر على مصر من حركة المهدي، انما الخطر من وجودكم انتم فينا، وانكم اذا غادرتم مصر، فالمهدي لن يرغب في الهجوم عليها ..)[٨١].

ولما سأله المندوب: اليس السودانيون قوما متعصبين؟ اجاب الإمام:

---

(٨٠) المصدر نفسه ٧٠٤/١

(٨١) المصدر نفسه ٧٠٤/١

(ليس السودانيون متعصبين، لكنهم اذا شعروا بالخطر الاجنبي يتهدد بلادهم ثاروا، واصبحوا حينئذٍ متعصبين. وما مثلهم في ذلك الا مثلكم انتم اذا رأيتم جيشاً من المسلمين في شوارع لندن ..)[٨٢].

المندوب: ولكن ماذا يكون مصير المسيحيين في مصر اذا تحقق جلاء جيوشنا عنها؟ فهلا تحدث فيها مذابح جديدة؟

الشيخ محمد عبده: لم تحدث في مصر مذابح، اللهم الا المذابح التي سببها الانجليز انفسهم. وإن وصول اسطولكم الى الاسكندرية هو الذي دفع الغوغاء الى الشغب، وإن انزالكم جيوشكم بها هو سبب حدوث الاضطراب في طنطا. لم يقتل من المسيحيين احد قبل حضوركم الى مصر، ولن يحدث من ذلك شئ بعد جلائكم؛ فلا نزاع بيننا وبين المسيحيين طالما عاشوا في ظل قوانيننا، ولم يتدخلوا في شؤون حكومتنا)[٨٣].

---

(٨٢) المصدر نفسه ٧٠٤/١

(٨٣) المصدر نفسه ٧٠٥/١

المندوب: إنَّ تِسعين في المائة من الفلاحين يريدون حكومة مسيحية؛ تخفف عنهم ثقل الضرائب ويفضلونها على حكومة اسلامية تفرضها عليهم.

الشيخ محمد عبده: (تلك اوهام، لقد اثقِلت ظهور الفلاحين بالضرائب، لكنهم في الوقت الحاضر لا يشكون منها، وانما يفكرون قبل كل شئ في تخليص بلادهم من حكم الاجنبي، بل انهم ليفضلون ان يدفعوا اكثر مما يدفعون لتحقيق هذه الغاية. اني اعلم ذلك، فاني على اتصال بالمراسلين في جهات كثيرة في مصر، يمكنكم اذن ان تلغوا جميع الضرائب، فلن يحمدوا لكم هذا الصنيع)[٨٤].

اما الشيخ عبد القادر عودة،فقد بين موقف الاسلام من الاستعمار، وما يجب على المسلمين تجاهه فقال:

(الاسلام يحّرِم على المسلم ان يخضع لغير المسلم، ويوجب على المسلم جهاد الغزاة المستعمرين وقتالهم وقتلهم حتى يخرجوا من بلاد الاسلام).

---

(٨٤) المصدر نفسه ٧٠٧/١

(والاسلام يبيح للمسلم دم المستعمر وماله؛ لأن المستعمر ليس الا حربياً معتدياً، فكل ما يسفكه المسلمون من دم المستعمرين، انما هو دم مباح، وكل ما يأخذونه من اموالهم انما هو مال مباح، وكل ذلك اذا ما اتاه المسلمون بنية خالصة انما هو عمل يتقربون به الى الله).

(والاسلام يحرم على المسلم موالاة المستعمر ومودته، ويوجب عليه مقته وكراهته، فكيف يعيش الاستعمار بين قوم لا يوالونه ولا يُوادّونه، بل يكرهونه ويَمقُتونَه).

(والاسلام لا يجيز للمسلمين ان يعاهدوا المستعمرين او يهادنوهم ما دام في المسلمين قوة، فهي اذن الحرب المشبوبة الدائمة ما دام الاستعمار، او هي الهدنة الموقوتة التي لا تنتهي الا بالقتال).

(والاسلام يجيز للمسلمين في حالة ضعفهم ان يهادنوا المستعمرين هدنة مؤقتة قصيرة، على ان يعدوا ويستعدوا، فاذا خافوا الاضرار بالمسلمين، او خشوا خيانة المستعمرين، نبذوا اليهم عهدهم، وعادوا الى حربهم بعد انذارهم، فأحكام الاسلام تمنع من مسالمة المستعمرين الا الى اجل، وتجيز

نقض الهدنة والعود الى الحرب، كلما اقتضت ذلك مصلحة المسلمين والاسلام)[٨٥].

رحم الله الامام الشيخ محمد عبده، والشيخ عبد القادر عودة فلقد قارعا الاحتلال الانجليزي لمصر بكل ما يستطيعانه. وهذا هو شأن العلماء الاعلام على مر الاجيال في كل زمان ومكان. فلا نعجب اذا علمنا ان عدو المحتل الاول هم العلماء العاملون، وان اول عمل قام به المحتل من قبل هو اغلاق المدارس الاسلامية كما حدث في كل بلد من البلاد العربية والاسلامية التي احتلت من قبل المستعمرين، وان الدائرة الان تدور على المناهج الاسلامية التي تدرَّسُ في البلاد العربية والاسلامية.. انه المحتل، لا يتضايق من شئ كتضايقه من العلماء الذين ينفخون في الامة روح مقاومته بالسيف والسنان، او الحجة والبيان.

---

(٨٥)الاسلام واوضاعنا القانونية تأليف: عبد القادر عودة ص١٠١-١٠٢، مطبعة: دار الكتاب العربي- القاهرة/١٩٥١

خاتمة

تواجه الأمة المسلمة في هذا العصر حربا ظالمة من القوى الغربية بقيادة (الولايات المتحدة الأمريكية)، وبتوجيه من اليهود الذين كانوا –وما زالوا كذلك- يؤثّرون في سياستها الداخلية والخارجية، بل ويمسكون بسياسة الحكم فيها، وكان من وراء تلك الحرب أهداف كثيرة من أهمها: سلخ المسلمين من هويتهم وأصالتهم ومبعث قوتهم (الإسلام)، وجعلهم يسيرون على وفق السلوك الغربي؛ لأنهم يعلمون أنّ المسلم حين يفهم إسلامه ويتمسّك به لا يوالي أعداء الله المحاربين له من المحتلين والمستعمرين، ولا يستجيب لتنفيذ مخططاتهم وهو يعلم ما فعله المجاهدون بالمستعمرين من قبل، بل يقف وقفة الأبطال في وجوههم، حتى يخرجهم من البلاد مندحرين خاسئين.

ومن أهداف تلك الحرب الظالمة–أيضا-: إخضاع البلاد العربية والإسلامية للهيمنة الأمريكية، واستعمارها من جديد استعمارا بثوب آخر وبأهداف يهودية، وإعادة رسم

الخارطـة السياسـية والجغرافيـة للـبلاد العربيـة والإسـلامية، وبقاؤهـا أكبـر فتـرة ممكنـة فـي بـلاد المسـلمين؛ لتـتحكم بسياسـتها ومسـتقبلها وتنهـب خيراتهـا، وتعمـل علـى الحفـاظ على أمن اليهود، وتمكينهم من التوسع في أرض فلسطين، والحيلولـة دون المسلمين وتحكيمهم لشـرع الله، وذلـك بإيجـاد أنظمة تسير على وفق ما يريده الغرب.

وإذا كانـت بـلاد المسلمين قد شـهدت هجمـة عنيفـة مـن أوربـا بعـد منتصـف القـرن التاسـع عشـر والقـرن العشـرين واسـتعمرت مـن (بريطانيـا) و(فرنسـا) و(إيطاليـا) و(اسـبانيا) و(هولندا)...واستمرّ استعمارها عشرات السنين، فإنّ الـذين رباهم المحراب، وصقل نفوسهم قيام الليل والنـاس نيام قاموا بمحاربـة المسـتعمرين، حتـى تمكنـوا مـن طـردهم، مقـدّمين الشـهداء بعـد الشـهداء. وهكـذا ذهـب الاسـتعمار الأوربـي؛ بمسـاوئه وجرائمـه، لتحـلّ محلّـه الزعامـة الأمريكيـة التـي

انفردت بالهيمنة على العالم بعد تفكك الاتحاد السوفيتي قبيل نهاية القرن العشرين.

ونحـن المسلمين نـؤمن أنّ الباطـل مهمـا تجبّـر وتكبّـر ورغـى وأزبـد، ومهمـا جـار وظلـم، فـإنّ العاقبـة لا تكـون إلاّ لعبـاد الله الصـالحين، أولئـك الـذين لا ينـامون علـى ضـيم ويأخذون بالأسباب، مصداقا لقول الله تعالى:

﴿إنّـا لننصـر رسلنا والـذين آمنـوا فـي الحيـاة الـدنيا ويـوم يقوم الأشـهاد۝ يـوم لا ينفـع الظـالمين معذرتهم ولـهم اللعنـة ولـهم سوء الدار﴾[٨٦].

وصدق الله العظيم

---

(٨٦)- سورة غافر /٥١- ٥٢.

المحتوى